غير مرخصة للطباعة

المحور الثاني

العقيدة

٢٤

أشراط الساعة الصغرى والكبرى

الإمام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٨].

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، كان يومًا بارزًا للناس، إذ أتاه رجل يمشي... قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]». ثم انصرف الرجل، فقال: «**ردوا عليَّ**». فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئًا، فقال: «**هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم**». متفق عليه.

عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين ـ أراه ـ السائل عن الساعة؟**». قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**». رواه البخاري.

عن حذيفة بن أَسِيد الغفاري قال: اطَّلع النبي ﷺ، علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**». قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ـ فذكر ـ الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**». رواه مسلم

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى من اتبع سبيله ونهجه إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فقد حدثنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن كثير من الأحداث المستقبلية التي تواجهها الأمة منذ بعثة خاتم الأنبياء ﷺ، إلى الأمة الخاتمة، من ضعف الدين في النفوس، وتغيُّر الأخلاق والأحوال عن المثال الأعلى، الذي وُجِدَ في صحابة الرسول الله ﷺ، خير قرون هذه الأمة.

ومنها ما يصور جزءًا من التغيرات السياسية والاجتماعية، وما فيها من انكسارات وانتصارات، وصعود وهبوط، وكأنه يرسم خطًّا بيانيًّا للأمة من يوم موت نبيها إلى قيام الساعة.

ومنها ما يبث الأمل ببقاء الخير في الأمة، وازدهار حضارتها، ووجود طائفة من الأمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

ومنها ما يعبر عن أحداث كونية وإنسانية كبرى، هنا وهناك، تتغير فيها الأرض عما عهده الناس، أو يرى الناس في السماء أحداثًا لم يألفوها، وذلك قرب قيام الساعة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقد سمَّى العلماء هذه الأحداث بـ«أشراط الساعة»، وهو اسم مأخوذ من القرآن، من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وقد أورد كثير من المحدثين طائفة من هذه الأحاديث تحت عنوان «كتاب أشراط الساعة»، كابن خزيمة والترمذي وابن ماجه، ومنهم من سماه «الفتن» كالبخاري في كتابه «الجامع الصحيح» وكما فعل شيخه أبو نعيم، الذي ألف كتابًا مفردًا سماه «الفتن»، وإن شحنه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات. ومنهم من جمع بين الاسمين كما فعل الإمام مسلم في صحيحه «كتاب الفتن وأشراط الساعة».

وإطلاق اسم الفتن على أشراط الساعة هو من قبيل إطلاق الجزء على الكل، إذ الفتن الداخلية التي أصابت الأمة والتي ستصيبها إلى يوم القيامة جزء من هذه الأشراط. ومنهم من سماها الملاحم، وهي المعارك الكبرى التي ستخوضها الأمة ضد أعدائها دفاعًا عن دينها ووجودها واستقلاليتها.

وهناك من العلماء من أفرد التأليف في أشراط الساعة وعلاماتها، مثل: نعيم بن حماد (ت: ٢٢٨هـ) في كتابه «الفتن»، وقد قال فيه الإمام الذهبي: أتى فيه بعجائب ومناكير[١]. و«الفتن» لحنبل بن إسحاق ابن أخي الإمام أحمد (ت: ٢٧٣هـ)، وألف الإمام أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) «السنن الواردة في الفتن»، وألف الحافظ شمس الدين السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) «القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة»، وألف البرزنجي (ت: ١١٠٣هـ) «الإشاعة لأشراط الساعة»، وقد علق عليه محدث الهند العلامة محمد زكريا الكاندهلوي.

(١) سير أعلام النبلاء (٩٠٦/١٠)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وهذا غير ما كتبه العلماء ضمن مؤلفاتهم مثل «كتاب الفتن والملاحم» ضمن الموسوعة التاريخية للحافظ ابن كثير «البداية والنهاية».

والحق أن بعثة النبي ﷺ هي أول هذه الأشـــراط، وهي إيذان بقرب الساعة، واقتراب الحساب، وهو ما أخبر به القرآن في غير ما آية، كما في قوله تعالـــى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحـــل: ١]، ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر: ١].

وأخبر به النبي ﷺ في أحاديثه الصحيحة، منها قوله ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين**»، وضم أصبعيه الشريفتين السبابة والوسطى[(١)].

وقد كان في نيتي أن تكون «أشـــراط الســـاعة» مبحثًا من مباحث الركن الخامس من أركان الإيمان: «الإيمان باليوم الآخر»، ولكن طوَّل بي القلم، واتسع المداد، وتوسعتُ في الكتابة عن الموضوع بأكثر مما توقعت، ولذلك رأيت أن يصدر في صورة كتاب مستقل.

وقـــد التزمت في هـــذا الكتـــاب ما التزمته في كتبـــي الأخرى، من الاعتماد على الصحاح والحسان من الأحاديث، والإعراض عن الضعيف، ففي الصحيح غُنْيَة عن الضعيف.

وقد ناقشت في هذا الكتاب ما حاوله بعض علماء الإسلام تأثرًا بأهل الكتاب من تحديد عمـــر الأرض، وبينت أن ذلـــك لا يعتمد على دليل صحيح، ويخالف الاتجاه العام للنصوص.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطلاق (٥٣٠١)، ومسلم في الفتن (٢٩٥٠)، عن سهل بن سعد الساعدي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم ذكرت أشراط الساعة الصغرى، والتي ابتدأت بمبعث النبي ﷺ، ثم أشراط الساعة الكبرى؛ خروج يأجوج ومأجوج، وفتنة المسيح الدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، وظهور دابَّة الأرض تكلِّم الناس، وطلوع الشمس من مغربها. وما يتعلق بذلك من المناقشات والتحقيقات والترجيحات التي أرجو أن ينتفع بها قارئ هذا الكتاب.

كما ناقشت قضية المهدي المنتظر، والأحاديث الواردة فيها وصحتها، ومن أنكر هذه الأحاديث وَضَعَّفَها من علماء الإسلام القدامى والمعاصرين.

أسأل الله تعالى أن يَعُمَّنا برحمته وأن يرزقنا جنته، وأدعو بدعاء أبوينا من قبل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

الدوحة، رمضان ١٤٤٠هـ ـ مايو ٢٠١٩م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

١
محاولة تحديد عمر الدنيا ويوم القيامة

يتساءل بعض الناس: هل للدنيا عمر محدود؟ ومَن الذي حدَّده؟ وكم هو؟ وهل هو طويل أو قصير؟ وهل عرفناه أو لا؟

هذا تساؤل جرى بين أهل الدين من قديم، وخصوصًا عند اليهود، وما شاع عند اليهود لا بد أن يشيع عند النصارى؛ لأنهم يتلقَّوْن معلوماتهم الدينية والكونية من اليهود؛ فعندهم الكتاب الديني الأعظم الذي أنزله الله على موسى، وهو التوراة، أما الإنجيل فهو كتاب مواعظ وتذكير.

وقد شاع عند اليهود أنَّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة!! أي أن كل ما يعيشه بنو آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الحياة والأحياء، وتنتهي الدنيا كلها: سبعة آلاف سنة!!

ومن المؤسف أن بعض العلماء الشرعيين أو علماء الدين والشريعة من المسلمين تأثروا بهذه المقولة، أو صدقوها، فقد ذكر الإمام الطبري في تاريخه المسمى «تاريخ الرسل والملوك»: أن مدة الدنيا منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة سبعة آلاف سنة، تزيد قليلًا أو تنقص قليلًا، واحتجَّ لذلك بما ذكره من الأخبار والحجج التي تعضد هذا الرأي، ومنها: أن الله خلق الأرض والسماوات في

QaradawiBooks.com

ستة أيام، ومقدار اليوم عند الله: ألف سنة مما تعُدُّون، كما هو منطوق الآية القرآنية[١].

الإمام الموسوعي أبو جعفر الطبري وتأثير الروايات الإسرائيلية عليه:

إنَّ الإمام أبا جعفر محمد بن جرير الطبري من الجهابذة الكبار، الذين أخرجتهم أمة الإسـلام وثقافة الإسلام، فهو في التفسير إمام، بل هو شيخ المفسرين، فهو مفسِّر القرآن بالمأثور والرواية، وبالرأي والدراية، وقد كان كتابه الرائد في علم التفسير للفَرِيقَيْن، وهو كذلك إمام في التاريخ، وكتابه في التاريخ مدرسة للمؤرِّخين.

وهو موسـوعة ابتدأت من أول آدم إلى عصـره، وهو يقبل في التاريخ من الروايات ما لا يقبله في علم الفقه أو في علم الحديث، وله منهج في التاريخ يعرفه أهله والدارسون له.

وهو إمام في علم الحديث، عرف علومه ومصطلحه، وما يحتاج إليه، ونقَّح وصحَّح وضعَّف، وعرف من الحديث ما لم يعرف غيره.

وهو في علم الفقه إمام مـن الأئمة المجتهدين، الذين لم يقلِّدوا أحـدًا، بل كان لـه مذهبه الذي تبعـه فيه مجموعات مـن الناس، استمرُّوا مدة بعده ثُمَّ انقرضوا.

ومع هذا العلم الغزيـر، والعقل المسـتنير، والتميُّز في الحديث والتفسـير، وفي العقيدة والفقه، وفي السـيرة والتاريخ، وفي اللغة والقراءات، انطلـت عليه بعض الأقـوال التـي روَّجها المروِّجـون،

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/١٠ ـ ١٦)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

ممَّن أسلموا من أتباع الديانات الأخرى، فسلَّم لها بسهولة، ولم يطرحها للمناقشة، ولم يتأمَّل فيها تأمُّل المجتهد في الفقه، العالم بالأصول والفروع، فسلَّم بما قاله كعب الأحبار ووهب بن منبِّه وأمثالهما ومن وافقهما من تحديد عمر الدنيا من أولها إلى آخرها ـ أو من عهد آدم أبي البشر إلى أن تقوم الساعة ـ بـ (٧٠٠٠ سنة)، فعل ذلك في تاريخه، وفعله في تفسيره[1]، وهو أمر لا تقبله العقلية العلمية، والعجيب أن يكون هذا الكلام من الإمام الطبري، الذي طالما ناقش كبار المفسِّرين والمحدثين، وعباقرة الفقهاء والأصوليين، وأساتذة المؤرخين! ولم يغنِ عنه تبحُّره في التفسير، وتوغُّله في التاريخ، وتوسُّعه في الحديث، وتعمُّقه في الفقه، وروَّج ما روَّجه المروِّجون من تلك المقولات، التي يقرؤها علماء العصر من أهل الاختصاص، ويضحكون على من صدَّق بها، واعتبرها من الحقائق العلمية.

والحق أن ما استشهد به الطبري في «تاريخه» من أن خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام، وأن اليوم عند الله ألف سنة؛ غير مُسلَّم له، ويرده أهل العلوم المكتسبة ـ كما سنذكر ـ فالأيام التي خلق الله فيها الكون هي حِقَب متطاولة، لا يعلم مقدارَها إلا الله، وتفسير الطبري أيام الخلق الستة بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]. غير مُسلَّم له، ولا دليلَ شرعيًّا أو عقليًّا أو علميًّا عليه، والعلماء الكونيون يردون هذا الكلام.

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٢/٢٧٧ ـ ٢٧٨)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

أيام الخلق الستة في منظور العلوم المكتسبة:

يقول د. زغلول النجار في معنى أيام الخلق الستة: «يرى أهل العلوم المكتسبة مراحل خلق الكون على النَّحو التالي:

١ ـ مرحلة الجِرْم الابتدائي الأوليِّ الذي بدأ منه الخلق (مرحلة الرَّتْق).

٢ ـ مرحلة انفجار الجِرْمِ الابتدائي الأوليِّ (مرحلة الفَتْق) وبدء توسُّع الكون.

٣ ـ مرحلة السماء الدُّخانية، وفيها تخلَّقت العناصر المختلفة، عبر تخلُّق المادة والمادة المضادة، وتكون نُوَيَّات الأيدروجين والهيليوم وبعض الليثيوم.

٤ ـ مرحلة انفصال دوَّامات من الغُلَالة الدُّخانية وتكثُّفها على ذاتها بفعل الجاذبية، لتكوين كلٍّ من الأرض وباقي أجرام السماء.

٥ ـ مرحلة دَحْو الأرض، وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية، وبدء تَحَرُّك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وتكوُّن كلٍّ من المحيطات والقارات والجبال، وتكوُّن التربة، وبدء دورة الماء حول الأرض، وتسوية سطحها، وخزن الماء (مرحلة تكوُّن الجبال).

٦ ـ مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها إلى مختلف مستوياتها (مراحل المباركة وتقدير الأقوات)، (والله تعالى أعلم بما قد خلق).

ويقدِّر علماء كل من الفلك والفيزياء الفلكية عمر الكون بحوالي (١٠ ـ ١٥) بليون سنة، بينما يقدر علماء الأرض عمر ذلك الكوكب بحوالي (٤ ـ ٦) بليون سنة، وهو نفس العمر الذي توصَّل إليه العلماء بتحليل تراب سطح القمر، وعمر النيازك العديدة التي نزلت إلى الأرض.

QaradawiBooks.com

ويبدو أن الفارق الكبير بين العُمْرين المقدَّرين لكلٍّ من الأرض والكون سببه أن العمر المقدَّر للأرض هو عمر تيبُّس قشرتها الخارجية، وأن هذا العمر لا يشمل أيًّا من مراحل الأرض الابتدائية، ولا مراحل تخلُّق العناصر التي كوَّنت تلك الأرض الابتدائية.

وتشير الآيات القرآنية في كل من سورة البقرة (٢٩)[١]، وفُصِّلَت (٩ ـ ١٢)[٢] إلى سَبْق خَلْق الأرض لعملية تسوية السماء الدخانية الأوليَّة إلى سبع سماوات، ويبدو أن المقصود هنا هو خلق عناصر الأرض، ثم تلا المرحلة خلق الأرض نفسها على هيئة الكوكب الابتدائي الذي تمَّ دحوُه وتشكيله إلى صورته الراهنة؛ وذلك لأن خلق السماوات والأرض عمليتان متلازمتان، ولا يمكن لإحداهما أن تنفصل عن الأخرى، فسبحان الذي أنزل من فوق سبع سماوات، وقبل ألف وأربعمائة من السنين، قولَه الحق في صيغة استفهام استنكاري تقريعي للمشركين والكافرين: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]،

---

(١) ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

(٢) ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

QaradawiBooks.com

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]»[(١)].

تحقيق السيد رشيد رضا ونقوله في عمر الدنيا:

ونقول هنا بما قاله العلامة المجدِّد السيد محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ونقل فيه ما نقل عن كبار العلماء، ونؤكد هنا ما أكده بعد هذه النقول، يقول: «ليس في عمر الدنيا حديث مرفوع صحيح ولا حسن، والروايات فيه إما ضعيفة، وإما موضوعة، والراجح أن كل ما ورد فيها من مرفوع وموقوف ومن الآثار فهو من الإسرائيليات، التي بثَّها في الأمة كعبُ الأحبار ووهب بن منبِّه وأمثالهما، ولو فطن الحافظ ابن حجر لدسائسهما، وخطأِ مَن عدَّلهما من رجال الجرح والتعديل، لخفاء تلبيسهما عليهم؛ لكان تحقيقه لهذا البحث أتمَّ وأكمل[(٢)].

وقد أشار إلى ذلك حكيم الإسلام الاجتماعي ابن خلدون في (مقدمته) عند الكلام في ابتداء الدول والأمم، وما بقي من الدنيا، قال: فكان المعتمد في ذلك في صدر الإسلام آثارًا منقولة عن الصحابة، وخصوصًا مُسلِمة بني إسرائيل، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبِّه وأمثالهما، وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة، وتأويلات محتملة[(٣)] اهـ.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن، السماء في القرآن الكريم د. زغلول النجار (١٦٥/٤ ـ ١٦٦)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) راجع ما قاله ابن حجر ورده لكلام الطبري في فتح الباري (٣٤٩/١١ ـ ٣٥٢)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) تاريخ ابن خلدون (٤١٢/١) وما بعدها، تحقيق خليل شحادة، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ثم ذكر مباحث السهيلي في كلام الطبري.. وذكر أيضًا كلام الصوفية في ذلك، وظهور كذب الجميع.

وكذلك الإمام أبو محمد علي بن حزم (المتوفى سنة ٤٥٦هـ)، لم يعبأ بشيء من هذه الروايات في هذه المسألة، على طول باعه وسَعَة حفظه للآثار، وقد سبق القاضي عياضًا والقاضي أبا بكر بن العربي وابن خلدون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا، وعجبتُ كيف غفل الحافظ ـ يعني: ابن حجر العسقلاني ـ عن إيراد ما قاله ـ أي ابن حزم ـ في هذه المسألة على سعَة اطلاعه!!

قال ابن حزم ـ بعد ذكر ما كان يقول اليهود والنصارى في بدء الخليقة ـ ما نصه: وأما نحن ـ يعني المسلمين ـ فلا نقطع على علمٍ عددًا معروفًا عندنا، ومن ادَّعى في ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل، فقد قال ما لم يأتِ قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظةٌ تصح، بل صحَّ عنه ﷺ خلافه، بل نقطع على أنَّ للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله تعالى، قال الله سبحانه: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف: ٥١].

وقال رسول الله ﷺ: «**ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض**»[(١)]. وهذه نسبة مَن تدبَّرها وعرف مقدار عدد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر، علم أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله.

وكذلك قوله عليه السلام: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[(٢)]. وضم أصبعيه المقدَّستين؛ السبابة والوسطى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٢٨)، ومسلم في الإيمان (٢٢١)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩٥١)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقد جاء النص بأنَّ الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى، لا أحد سواه، فصحَّ أنه ﷺ إنما عَنَى شدَّة القرب، لا فضل الوُسطى على السبابة، إذ لو أراد ذلك لأُخذت نسبة ما بين الأصبعين، ونُسب ذلك من طول الأصبع، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة، وهذا باطل، وعلى ذلك تكون نسبته ﷺ إيَّانا إلى من قبلنا بأننا كالشعرة في الثور كذبًا، ومعاذ الله من ذلك، فصحَّ أنه ﷺ إنما أراد شدَّة القرب، وله ﷺ منذ بُعِثَ أربعمائة عام ونيِّف ـ في عصر ابن حزم ـ والله تعالى أعلم بما بقي للدنيا.

فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سَلَف ـ أي: ما مضى من عمر الدنيا إلى زمان ابن حزم ـ لقِلَّته وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى، فهو الذي قاله ﷺ من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور أو الرَّقْمة في ذراع الحمار. انتهى كلام ابن حزم»[1].

قال الشيخ رشيد: «وأقول: هذا كلام الأئمة المحقِّقين، فالذين حاولوا تحديد عمر الدنيا، ومعرفة وقت قيام الساعة، إرضاء لشهوة الإتيان بما يهِمُّ جميع الناس؛ لم يشعروا بأنهم يحاولون تكذيب آيات القرآن الكثيرة الناطقة بأن الساعة من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به، وأنها تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون، أي: على غير انتظار من أحد منهم، ولا أدنى علم، وهذا البلاء كله من دسائس رواة الإسرائيليات، وتلبيسهم على المسلمين بإظهار الإسلام والصلاح والتقوى، ومِن وضْع بعض الاصطلاحات العلمية في غير موضعها، ككون كثرة الروايات الضعيفة يقوِّي بعضها بعضًا، فإن هذا إنما يصحُّ في المسائل التي لا يحتمل إرجاعها إلى مصدر واحد يُعنَى بنشرها والدعوة إليها، كمسألة المهدي

(١) الفصل في الملل والنحل (٨٤/٢، ٨٥)، نشر مطبعة الخانجي.

QaradawiBooks.com

المنتظر، الذي هو أساس مذهب سياسي كُسِيَ ثوبَ الدين، ألم تر أن رواياته لا تخلو أسانيدها من شيعي، وأن الزنادقة كانوا يبثُّون الدعوة إلى ذلك، تمهيدًا لسلب سلطان العرب، وإعادة مُلْك الفرس؟ وككون كلام الصحابي فيما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، له حكم الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ، ويجب تقييد هذا فيما لا يحتمل أن يكون من الإسرائيليات، وهو ما أشار إليه العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير في موضوعنا هذا[1].

هذا، وإن لمتقدمي أمم الحضارة الأولين من الهنود والصينيين وغيرهم أقوالًا في عمر الدنيا، وتاريخ البشر الماضي، تذكر فيه الأرقام بألوف السنين وألوف الألوف، وقد بُنِي بعضه على روايات مأثورة عن قدمائهم، وبعضه على اصطلاحات فلكية وأوهام تنجيمية، لا تفيد علمًا صحيحًا.

وأما علماء الكون في هذا العصر فلهم منهج في عمر الأرض الماضي، ومنهج آخر في تاريخ البشر وآثارهم في القرون الخالية: منهجان علميان مبنيَّان على ما عُرف بالحفر من طبقات الأرض، وما كُشِف من آثار أعمال البشر، ومن عظام موتاهم ورفاتهم، وهم يجزمون: أن عُمْر الدنيا الماضي يعدُّ بألوف الألوف من السنين. وقد وُجِدت آثار للبشر فيها منذ مئات الألوف من السنين، وذلك ينقض ما في (سفر التكوين) من أسفار التوراة في المسألتين، ولكنه لا ينقض من القرآن كلمة ولا حرفًا: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وكذلك أحاديث الرسول

(١) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٢١٧/٤)، نشر مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

QaradawiBooks.com

القطعية، أو الصحيحة القريبة من القطعية، التي لا شبهة فيها للدسائس الإسرائيلية، ولا للمكايد الفارسية المجوسية»[١].

تأثر السيوطي بقول من قال: إن عمر الأرض سبعة آلاف سنة:

وممن تأثر بمقولة أن عمر الأرض سبعة آلاف سنة: الإمام اللغوي المحدِّث المفسر الحافظ السيوطي، الذي ألف في ذلك كتابًا ـ أو كُتيِّبًا من كتيباته الكثيرة المتعددة والمتنوعة ـ وقد سمَّاه: «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف»، أبان فيه أن الأمة لن تكمل الألف الثانية، والألف الثانية هذه يُسمِّيها بعضهم الألف المُخَضْرمة؛ لأن نصفها دنيا، ونصفها الآخر آخرة!!

رأيُنا فيما نقله مسلمو أهل الكتاب من تحديد عمر الأرض:

وكما قلنا: فإنَّ كثيرًا من مشايخ المسلمين تأثَّروا بما أشاعه بينهم رجال اليهود، الذين ظنَّهم بعض المسلمين من علماء أهل الكتاب، الذين يعرفون بعض ما قد يخفى على المسلمين، ومن هؤلاء الذين اشتُهروا عند المسلمين، واستسلموا لهم، وأخذوا عنهم كل ما يقولون عن كتبهم: كعب الأحبار، ووهب بن منبِّه، والحقيقة أن ما نقلوه ليس نقلًا حقيقيًّا من كُتُب القوم، بل فيه الكثير من الخرافات والأباطيل، التي تشيع عند المبتدعة والغلاة والمتفلسفة.

وهذا ما يراه العالم المحقِّق في عصرنا فيما نقله كعب الأحبار ووهب بن منبِّه، ونعني بالعالم المحقِّق: الذي يعرف كثيرًا من التوراة وشروحها، وكتب القوم من اليهود والنصارى، ويقارنه بما يقوله هؤلاء من المتحدثين باسم أهل الكتاب، الزاعمين بأنهم العارفون بالتوراة والإنجيل.

(١) تفسير المنار (٤٠٢/٩، ٤٠٣)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

من ينظر إلى الإسلام: في قرآنه الخالد أولًا، ثم ينظر فيما ثبتت صحَّته عن رسوله المعلم ثانيًا، ثم ينظر فيما أجمع عليه المسلمون منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وما رسخ عند أغلبهم ﷺ، ستتبين له حقائق مهمة وكبيرة في هذا الموضوع:

١ ـ أولى هذه الحقائق أن الإسلام لم يتعرض لهذا الموضوع قط، ولم يُعلن للناس أنه مشغول بهذا الأمر، ولا أنَّ عليهم أن يشغلوا أنفسهم به، فهذا ليس مما يطلبه الدين.

٢ ـ **والثانية**: أنَّ الذي يقرأ النصوص الإسلامية الأصلية المقدَّسة من آيات قرآنيَّة، ومن أحاديث نبويَّة مستفيضة، لا يجد فيها أي تحديد لعمر الدنيا، وخصوصًا هذا التحديد المزعوم (سبعة آلاف سنة).

فالله تعالى يقول: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢].

فهذا الحين من الدهر الذي مرَّ على الإنسان ولم يكُ شيئًا مذكورًا، ثم خلقه بعدُ ليبتليَه أيشكر أم يكفر، ولم يحدِّد القرآن الفترة التي يحياها بعد خلقه: هل هي سبعة آلاف سنة أو أقل أو أكثر؟ لا ندري.

وإن كانت الآية توحي بأنها أكثر من سبعة آلاف سنة بكثير ـ بل قَدَّرَهَا علماء الطبيعة بملايين السنين ـ فإذا كان ما قبل خلق الإنسان وذِكْره (حينًا من الدهر)، هكذا بالتنكير الذي يفيد التعظيم، وهي فترة تهيئة الأرض لخلق الإنسان، فهل تكون فترة تهيئة الأرض وإعدادها لخلق الإنسان أكبر من فترة حياة الإنسان؟!

QaradawiBooks.com

وقد اعتنى القرآن بذكر عمر نبي واحد في دعوة قومه إلى التوحيد، حتى يئس منهم، ومن أجيالهم المتعاقبة، فدعا عليهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فانظر إلى عمر هذا النبي الواحد الذي استغرق في دعوة قومه الوثنيين (٩٥٠) سنة، بعد أن بعثه الله في سن الأربعين ـ كما هو الغالب على الأنبياء ـ ثم عاش بعد الطوفان ما لا نعلمه من السنين.

فهذا النبي الكريم وحده عاش سُبُع عمر الدنيا المزعوم أو أكثر منه.

٣ ـ والثالثة: أن ما ذكره القرآن الكريم من أحوال الزمن ومقاديره في الدنيا والآخرة، لا تدل أبدًا، ولا تستقيم مع كون عمر الدنيا (٧٠٠٠) سنة. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، ويقول القرآن في وصف طول يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه ويحشرون ويحاسبون: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

فهل معقول أن يعيش الناس كل الناس في كل دنياهم سبعة آلاف سنة، ليحاكموا عليها في خمسين ألف سنة؟

٤ ـ والرابعة: أن الإسلام عامَّة، والقرآن خاصة، لا يعوِّدان المسلمين أن ينفقوا ما منحهم ربهم من عقول زاكية، وما مَنَّ عليهم من علوم نافعة، وما فتح عليهم في حياتهم من فوائد واجتهادات مفيدة ومنتجة في دينهم ودنياهم: في بحوث خيالية، لا يجديهم

QaradawiBooks.com

البحث فيها، والانطلاق وراء أخيلتها، فهذا لا يفيدهم شيئًا غير التعب والعناء، الذي ليس وراءه جدوى.

٥ ـ **والخامسة**: أن الذي أخبرنا عنه الإسلام في ذلك هو المُجْدي، وهو أنَّ الدنيا قديمة، لها بداية من قديم؛ لأن كل ما عدا الله مُحدَث، وكل محدث له أول وبداية، والله وحده هو الذي لا بداية له، وأن رسولنا محمدًا ﷺ هو آخر الأنبياء، وقرآنه هو آخر الكتب، وأمته هي آخر الأمم، ولذلك تُعتبر بعثته من أول علامات الساعة أو أشراطها الصغرى، كما قال تعالى: ﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا** ﴾ [محمد: ١٨]، وقد قال ﷺ كما في الصحيحين: «**بُعِثْت أنا والساعة كهاتين**». وأشار إلى إصبعيه السبابة والوسطى[(١)].

ولم يُعلِم اللهُ رسولَه بموعد الساعة متى يكون بالضبط، ولكنه أعلمه بقربها، كما قال تعالى: ﴿ **يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا** ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿ **وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ** ﴾ [الشورى: ١٧].

والقرب أمر نسبيٌّ، وخصوصًا أننا لا نعرف متى بدأت الدنيا، حتى نعرف نسبة ما بقي منها، وبعض الأحاديث لو أخذناها بظاهرها، قد تُبدي لنا أن الدنيا قديمة جدًّا، مثل الحديث الصحيح الذي يقول: «**إن آدم حين خُلق كان طوله ستين ذراعًا**». وفيه: «**فلم يزل الخلقُ ينقص بعدُ حتى الآن**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٢٦)، ومسلم في الجنة (٢٨٤١)، عن أبي هريرة، ولفظ البخاري: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والحديث الصحيح الآخر الذي جعل عُمر هذه الأمة بالنسـبة للأمم قبلها، كالنسبة بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب[١].

ومعرفة ما بين العصر والمغرب تختلف من بلد إلى بلد، ومن وقت إلى وقت، فهي في الصيف غيرها في الشتاء، وهي في القطبين غيرها في بلاد خط الاستواء، على أن المهم أننا لا نعرف المدة التي عاشتها الأمم الأخرى لنعرف النسبة إليها.

المهم أن الإسلام يُعلِّم المسلمين: أن يهتموا في فكرهم وعلمهم وعملهم وحياتهم بما ينفعهم وينفع من حولهم، وينفع الناس جميعًا، كما هو شأن الحق، وكما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ولا ينبغي للمسلم أن يضيع وقته فيما يُتْعِب العقل، ولا يجتني من ورائه ثمرة، لا له، ولا لغيره، ولا لمن بعده.

(١) إشارة إلى حديث: «إنما أجَلُكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس». رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٢٠٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

أشراط الساعة صغرى وكبرى

الساعة في اللغة: جزء قليل غير مُعَيَّن من الزمان، وتُسمَّى ساعة زمانية، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾ [الأعراف: ٣٤]. وفي اصطلاح الفلكيين: جزء من أربعة وعشرين جزءًا متساوية من اليوم والليلة[١].

وأما الساعة الشرعية فتأتي في القرآن معرَّفة بأل العهد، بخلاف الساعة الزمانية التي تكون فيه منكَّرة، والساعة الشرعية هي: ساعة خراب هذا العالم وموت أهل الأرض[٢].

وقد جمع الله في آية واحدة بين الساعة الشرعية والساعة الزمانية، وهي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: ٥٥].

والأشراط: العلامات، واحدها: شَرَط، بالتحريك. وبه سميت شرط السلطان؛ لأنهم يجعلون لأنفسهم علامات يعرفون بها[٣]، والمراد بالأشراط هنا: العلامات التي يعقبها قيامُ الساعة.

---

(١) تفسير المنار (٣٨٦/٩).

(٢) المصدر السابق (٣٨٧/٩).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث مادة (ش. ر. ط).

QaradawiBooks.com

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]. أي: أعلامها.

غير مرخصة للطباعة

للساعة علامات صغرى وكبرى:

وللساعة أو القيامة ـ كما أعلمنا الله ورسوله ـ أشراط وعلامات تدل عليها قبل وقوعها، منها أشراط وعلامات صغرى، وأشراط وعلامات كبرى.

فالأشراط الصغرى: هي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة، كقبض العلم، وظهور الجهل، والتطاول في البنيان.. إلخ.

والأشراط الكبرى: هي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة، مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج.. وغير ذلك من العلامات الكبرى.

أول أشراط الساعة الصغرى بعثة محمد ﷺ:

أما أول أشراط الصغرى، فهو بعثة محمَّد ﷺ، الذي ختم الله به الرسلَ والنبيين، كما قال في كتابه: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وختم بكتابه المبين (القرآن) سائر الكتب السماوية، وختم بشريعته الشرائع الكتابية، وختم بأمَّته كل الأمم التي أرسل الله لها رسلًا، وأنزل عليها كتبًا، وقد نبَّه القرآن على ذلك حين قال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨]. وأول هذه الأشراط البعثة المحمدية.

ولقد عبَّر ﷺ عن ذلك، فقال: «**بُعثتُ أنا والساعة كهاتين**». وأشار إلى أصبعيه: السبابة والوسطى[1].

(١) سبق تخريجه صـ ٩.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وقال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد فُسِّر قوله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**». فقرن بين السبابة والوسطى؛ بقرب زمانه من الساعة، كقرب السبابة من الوسطى، وبأن زمن بعثته تَعْقبه الساعة من غير تخلُّل نبي آخر بينه وبين الساعة، كما قال في الحديث الصحيح: «**أنا الحاشر، يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»[(١)].

فالحاشر الذي يحشر الناس لبعثهم يوم القيامة على قدمه، يعني: أن بعثهم وحشرهم يكون عقيب رسالته، فهو مبعوث بالرسالة، وعَقِيبه يُجمع الناس لحشرهم، والعاقب الذي جاء عَقِيب الأنبياء كلهم، وليس بعده نبي، فكان إرساله ﷺ من علامات الساعة»[(٢)].

أشراط الساعة ثلاث مراحل أم مرحلتان؟

وأشراط الساعة الصغرى كثيرة، في بدئها ـ كما قلنا ـ بعثة محمد ﷺ، ويكفي أنه آخر رسل الله تعالى وأنبيائه، وأنَّ القرآن آخر الكتب المنزَّلة من السماء، وأن أمته آخر الأمم الدينية، التي بُعِثَ لها نبي، وأُنْزِل عليها كتاب.

وكل ما يأتي من آيات بعد ذلك، فهي دليل على أن الناس قد ابتعدوا قليلًا قليلًا عمَّا جاء به رسل الله تعالى، وعما جاءت به كتب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن حظوظهم من الربَّانية العليا، ومن الروحانية السامية، ومن الأخلاقية الراقية، ومن التدين الصحيح، قد بدأت تهبط شيئًا فشيئًا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٣/٣٣٥ ـ ٣٣٦)، تحقيق محمود شعبان وآخرين، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

وبعض العلماء يجعلون أشراط الساعة مراحل أو أنواعًا ثلاثة:

المرحلة الأولى أو النوع الأول: هي البدايات التي تبدأ ببعثة الرسول، ثم ما حدث في عهد صحابته، ثم ما بعدهم إلى ما شاء الله، من ضياع حقيقة الدين، وغياب أهل التقوى، وانتشار أهل الدنيا، وغلبة أهل الفجور شيئًا فشيئًا على توالي القرون.

والمرحلة الثانية أو المتوسطة بين المرحلة الأولى والمرحلة اللاحقة والأخيرة، وتأتي فيها أحداث أشد خطرًا، وأقرب إلى الأشراط الكبرى.

والمرحلة الثالثة والأخيرة، وهي مرحلة الأشراط الكبرى، التي يخرج فيها يأجوج ومأجوج على الناس، ويظهر فيها المسيح الدجال، ويُفتن الناس فتنة هائلة بما أودعه الله في يديه ليبتلي الناس، ثم قتله على يد المسيح ابن مريم، وظهور دابَّة الأرض تكلِّم الناس، وطلوع الشمس من مغربها.

ومن الناس من استحسن هذا التقسيم، ولكنه لا يضع خطًّا فاصلًا بين المرحلتين الأولى والثانية، والأوْلى أن نبقى على ما كان عليه علماؤنا الأوائل رضي الله عنهم من تقسيم علامات الساعة أو أشراطها إلى أشراط صغرى وأشراط كبرى.

ونحن بعد بعثة رسول الله ﷺ ونزول القرآن الكريم عليه ووفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، نسير في المرحلة الأولى، مرحلة أشراط الساعة الصغرى.

QaradawiBooks.com

القرآن يخبر عن أشراط الساعة:

ومن المعروف لمن قرأ القرآن الكريم ودرسه: أنه أخبر الناس عن قرب الساعة، واقتراب الحساب، في عدد من السور، ينبِّههم على هذا الأمر الخطير، ليستعدُّوا له، ويأخذوا لقدومه الأُهْبة.

من ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ ظاهره أن أمر الله ـ وهو أمر الساعة وقيام القيامة ـ قد جاء، حسبما يدل عليه الفعل الماضي، ولكن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ يدلُّنا على أنه لا يقصد ظاهر اللفظ، بل يدلنا على أن الأمر قد اقترب واشتد قربه، حتى كأنه قد جاء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. يدلُّنا على اقتراب هذا الأمر.

انشقاق القمر:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. وانشقاق القمر كان آية لرسول الله ﷺ، بطلب من رجال قريش المعاندين، وقد أراهم الله هذه الآية، وشهد الكثيرون ممَّن رأَوْها؛ بل شهدها الكثيرون ممن كانوا مسافرين خارج مكة، كما أكد ذلك ابن كثير وغيره من رجال التاريخ والتفسير.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]: «قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفق عليه بين

QaradawiBooks.com

العلماء: أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»[١].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: «وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة»[٢].

وقد أخبرنا الله في غير آية من كتابه بقرب الساعة، فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٨]، وقال: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]، وغيرها من الآيات.

الرسول في أحاديثه بيَّن قرب الساعة:

وكذلك تعلَّمنا من رسولنا الكريم فيما جاء من السنة أنه كان يُعلِم الناس بقرب هذه الأمة من قيام الساعة.

روى البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**إنما أجَلُكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس**»[٣].

وجاء هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عمر، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، والشمس على قُعَيْقِعَان بعد العصر، فقال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٧٢/٧)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب صـ ١٠، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار المأمون، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

(٣) سبق تخريجه صـ ٢٤.

QaradawiBooks.com

«**ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه**»[١].
و(قُعَيْقِعان): جبل مكة.

ولادة الأمة ربَّتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان:

ولمَّا جاء سيدنا جبريل عليه السلام إلى الرسول، ليسأله أسئلة هامَّة، يعلِّم الناسَ بها حقيقة الإسلام والإيمان والإحسان، وأجابه عنها، سأله أيضًا عن الساعة، فقال له النبي ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**». قال: فأخبرني عن أشراطها. فقال: «**أن تلد الأَمَة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العُراة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان**»[٢].

وفي رواية: «**إذا ولدتْ الأمَةُ ربَّها**»[٣]، وفي أخرى: «**إذا ولدت الأمة بعلها**» كما في صحيح مسلم[٤].

والأمة هي المرأة المملوكة، خلاف الحُرَّة، ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**ربَّها**» أي: سيدها ومالكها، والربُّ يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبِّر والمربِّي والقيِّم والمنعم، وعلى هذا يكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**ربَّتها**»: سيدتها أو المنعمة عليها. وأما «بعلها» فالبعل هو الزوج، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا**﴾ [النساء: ١٢٨].

---

(١) رواه أحمد (٥٩٦٦)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٤١٢/١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٧٧٧)، ومسلم في الإيمان (٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٠)، ومسلم (٩) (٥)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٩) (٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

معنى قول النبي ﷺ: «أن تلد الأمة ربَّتَها»:

وقد ذكر شُرَّاح الحديث في شرح قول النبي ﷺ: «**أن تلد الأمة ربَّتَها**» عدَّة معانٍ، وأشهرها قولان:

القول الأوّل: وهو ما ذكره الخطابي والنووي وغيرهما[١]، أن المقصود هو اتساع رقعة الإسلام، واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبْي ذراريِّهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها كان الولد منها بمنزلة ربِّها ـ أي: مالكها ـ لأنه ولد سيِّدها، وملك الأب راجع في التقدير إلى الولد.

وتعقَّب الحافظ ابن حجر هذا القول بقوله: «لكن في كونه المراد نظر؛ لأن استيلاد الإماء كان موجودًا حين المقالة. والاستيلاء على بلاد الشرك وسبْي ذراريهم واتخاذهم سراريَّ وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة»[٢].

القول الثاني: أن يَكثُر العقوق في الأولاد، فيعامل الولد أمه معاملة السيِّد أمتَه من الإهانة بالسب والضرب والاستخدام، فأطلق عليه ربَّها مجازًا لذلك، أو المراد بالرب: المربِّي فيكون حقيقة.

يقول الحافظ: (وهذا أوْجَهُ الأوْجُه عندي، لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالةٌ تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة، ومحصِّله: الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور، بحيث يصير المربَّى مُربِّيًا، والسافل عاليًا)[٣].

---

(١) انظر: معالم السنن (٣٢٢/٤)، نشر المطبعة العلمية، حلب، وشرح النووي على مسلم (١٥٨/١) وما بعدها، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) فتح الباري (١٢٢/١).

(٣) المصدر السابق (١٢٣/١).

QaradawiBooks.com

معنى: «وأن ترى الحفاة العراة رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان»:

ومعنى «**وأن ترى الحفاة العراة رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»: تغيُّر المجتمعات من البداوة إلى الحضارة، وظهور الغنى والثروة في هذه المجتمعات فجأة، وانقلاب أحوال الناس وأخلاقياتهم بسبب هذا التغيُّر الاقتصادي المفاجئ، بحيث يصبح هؤلاء الناس البدائيُّون يملكون من الملايين ما يتطاولون به في البنيان، حتى يرى بعض الناس مَن حوله ممن كان يعرفهم من الحفاة العراة الرعاة يملكون من القصور الشاهقة ما يملكون، وبعضهم يملك من العمارات والأبراج وناطحات السحاب!

قال ابن رجب الحنبلي: «ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور تُوسَّد إلى غير أهلها، كما قال النبي ﷺ لمن سأله عن الساعة: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[(١)]. فإنه إذا صار الحُفاة العراة رعاء الشاء ـ وهم أهل الجهل والجفاء ـ رؤوسَ الناس وأصحاب الثروة والأموال، حتى يتطاولوا في البنيان، فإنه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا»[(٢)].

ويقول الحافظ ابن حجر: (ومعنى التطاول في البنيان أن كل مَن يبني بيتًا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر. ويحتمل أن يكون المراد: المباهاة في الزينة والزخرفة، أو أعم من ذلك، وقد وُجِدَ الكثير من ذلك، وهو في ازدياد)[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، وأحمد (٨٧٢٩)، عن أبي هريرة.

(٢) جامع العلوم والحكم (١٣٩/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٣) فتح الباري (٨٨/١٣).

QaradawiBooks.com

ضياع حقوق الناس وخصوصًا الضعفاء، وظهور الجبابرة، والكاسيات العاريات:

ومن الأحاديث التي أشار إليها الحُفَّاظ في هذا المقام: ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**صنفان من أهل النار لم أرَهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسياتٌ عارياتٌ، مميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخْت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحَها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[1].

فهذان الصنفان لم يوجدَا في حياة الرسول الكريم، ولذلك لم يرهما، وإنما عَلَّمَهما الناس بعد عهده وعهد الخلفاء الراشدين المهديِّين، وهذان الصنفان توزَّعا على الجنسين: فجنس منهما اختصَّ بجنس الرجال، وهو الذي وجد أولًا، والصنف الثاني اختص به جنس النساء، وهو الذي وُجِدَ بعد ذلك، وأكثر ما يمثله نساء عصرنا.

فأما الجنس الأول، فيتمثل في صنف من رجال الشرطة، المتجبِّرين على الناس، الذين يقهرونهم بالإيذاء، واستخدام آلات القهر، من العصي والكرابيج والأدوات الأخرى للتعذيب والإيذاء. ولذا قال: «**قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس**». فهي أشبه بالكرابيج التي شاهدناها وجرَّبْناها على جلودنا في السجون الحربية في مصر، وهناك أدوات أخرى للتعذيب، لم أجرِّبها أنا، ولكن جرَّبها إخوة من الرجال، وأخوات من النساء، فقُبْحًا للجبارين الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٩٦٨٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

والصنف الثاني، الذي ذكره الحديث، يتجسَّد في نساء كاسيات عاريات، يعني: لابسات وهنَّ عاريات! كيف يكون ذلك؟!

حين تلبس المرأة ما لا يغطي كلَّ عورتها، فهي تغطي جزءًا، وتظهر جزءًا أو أجزاء، كالتي تكشف رأسها وشعرها، أو تكشف ذراعيها، أو تكشف صدرها ونحرها، أو تكشف ساقيها، أو التي تلبس ثيابًا شفافة، كأنها من زجاج، فهي تلبسها على جسمها، ولكنها لا تغطِّي الجسم، بل تظهر الجسد الأنثوي، وهو أشد ما يكون فتنة للرجال، وخصوصًا الشباب منهم.

وهؤلاء النسوة مميلات مائلات، يلعبن بأجسادهن لعب التمايل، الذي تتفنن فيه اللاهيات العابثات، فيصبح الجسم أشد إغراءً، وأقوى إلهابًا للغرائز الجنسية عند الرجال، وعند المشاهِدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويستكمل الحديث وصف هؤلاء النساء، اللائي يتلفَّعْنَ ببعض الأغطية الحريرية، أو العمائم، أو الأغطية المأخوذة من الشعر الصناعي، التي تُلبس على الرؤوس، كأسنمة البخت المائلة، ويتفنَّنَّ في هذه المناظر تفننات غريبة للفتنة والإغراء، وتجرِّئ الرجال على النساء، والعكس. وحينئذ تقع المصائب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

توسيد الأمر إلى غير أهله:

ومن هذه الأشراط ما رواه الإمام البخاري، عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدِّث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال، فكره

QaradawiBooks.com

ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين السائل عن الساعة؟**». قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**فإذا ضُيِّعت الأمانة، فانتظر الساعة**». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**»[1].

وهذا الحديث يدلُّنا على أن الأمور إذا كانت مستقيمة، سائرة إلى غايتها، وفي طريقها الصحيح، ويقوم عليها أهلها القادرون والمؤتمنون، فإن الأمور تمضي على ما يُرام، والله يوفق أصحابها. وإذا تغيَّرت الأمور، وأول تغيُّرها أن تضيع الأمانة. والأمانة: وضع كل شيء في موضعه السليم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. فإذا لم يتمَّ ذلك على ما يحبُّه الله ويرضى، فعلى الناس أن ينتظروا الساعة، في الموضع الذي تضيع فيه الأمانة. فإذا ضُيِّعت في كل المجتمعات، فالمطلوب من الأمة كلها أن تنتظر ساعة الأمة، ساعة ضياع سلطانها وتمكُّنها من أمورها، وسيادتها على بلادها، ولما سأل الصحابة رسول الله: وكيف إضاعة الأمانة يا رسول الله؟ قال: «**إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

بيَّن الرسول الكريم أهم الأمانات: أن يسلَّم كل أمر لأهله، الذين يجتمع فيهم الشرطان: القوة والأمانة، كما حكى القرآن عن ابنة الشيخ الكبير التي قالت لأبيها عن موسى: ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

(١) سبق تخريجه صـ ٣٣.

QaradawiBooks.com

والقوة: تعني: القدرة والثقة والإتقان والخبرة والمعرفة، وكل ما يتعلق بالعلم والثقافة والمقدرة الفنية.

والأمانة: هي الجانب الأخلاقي والديني، بحيث يكون المرء حريصًا على الصدق في القول، وإتقان العمل، وإعطـــاء كل ذي حقٍّ حقه، وألَّا يخاف في الله لومة لائم. وبذلك تجتمع هاتان الناحيتان في الشـــخص، وهما اللتان عبَّر عنهما سيدنا يوســـف عليه السلام حين قال له ملك مصر بعد خروجه مـــن الســـجن: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]. فالحفيظ هنا في مقام الأمين في الأخرى، والعليم في مقام القوي هناك.

أحداث وقعت في عهد الصحابة:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أن رســـول الله ﷺ قال: «**والذي نفســـي بيده، لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا ـ تقتلوا ـ بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم**»(١).

وهذا كله وقع في عهد الصحابة، فقد قتل الإمام الثالث عثمان بن عفان، أحد العشرة المبشَّـــرين بالجنة، وزوج ابنتَيْ رســـول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، واقتتل المسلمون بعد ذلك بأسيافهم، وكان ما كان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقتتل فِئَتان من المســـلمين، فتكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٣٠٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (٢١٧٠)، وحسَّنه، وابن ماجه (٤٠٤٣)، كلاهما في الفتن.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٩)، ومسلم في الفتن (١٥٧) (١٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وقال الشُّرَّاح: وقع ذلك في حرب المسلمين بعضهم مع بعض، في عهد الراشدين، في حرب صِفِّين بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، ودعوى الجيشين واحدة، إذ كلاهما مسلم.

ولا أدري، لعل هذا الحديث ينبئ بفتنة أخرى بين المسلمين، تقتتل فيها طائفتان، وكلٌّ منهما يدعو إلى الإسلام!

وروى مسلم، عن أبي هريرة ـ أيضًا ـ عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْج**». قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل، القتل**»[1].

وقد اقتتل المسلمون ـ وأأسفاه ـ وقاتل بعضهم بعضًا، في حربين كبيرتين بالنسبة لوقتهما، كانتا سببًا في قتل الألوف، بل عشرات الألوف من المسلمين، في معركة الجمل بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من جانب، وطلحة والزبير ـ وهما من العشرة المبشرين بالجنة ـ وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ من جانب، وفي معركة صفين بين علي ومعاوية الذي قاد أهل الشام لقتال الإمام علي، أضيف إلى هاتين الحربين حربًا ثالثة، قادها الإمام علي ضد الخوارج، في معركة النهروان، وانتهت المعركة بهزيمة الخوارج، ولكنهم خططوا لقتله وقتلوه رضي الله عنه.

الفتن تقع خلال بيوت الصحابة كوقع القطر:

روى الشيخان أيضًا، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة[2]، فقال: «**هل ترون ما أرى؟**». قالوا: لا.

(١) رواه مسلم في الفتن (١٥٧) (١٨)، عن أبي هريرة.

(٢) حصونها وأبنيتها المرتفعة.

QaradawiBooks.com

قال: «**فإني لأرى الفتن تقع خلالَ بيوتِكم كوقع القطر**»[١]. أي: المطر.

وقد وقعت فتنة عثمان رضي الله عنه في خلافته، وفي عاصمة الخلافة: المدينة، ورآها الناس بأعينهم تقع كما يقع المطر على منازلهم.

حديث: «لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه»:

وروى البخاري بسنده، عن الزبير بن عديٍّ، قال: أتينا أنسَ بن مالك، فشكونا إليه ما نلقى من الحَجَّاج، فقال: «**اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم**». سمعته من نبيكم ﷺ[٢].

وهذا الحديث لا يخاطب الأمة كلها، بل المراد به خصوص من سمعوه من الصحابة، وإن فهم أنس رضي الله عنه منه العموم.

يعني: أن النبي ﷺ أراد من هذا الحديث أن يرشد هذه المجموعة التي سمعت من أصحابه أن يهيئوا أنفسهم لتغيُّر الزمان، بعد عهد النبوة، حتى لا يصدهم الواقع الذي يعيشون بعده، والتغيرات المذهلة التي سيشهدونها، ولا يدفعهم ذلك إلى زعزعة الثقة بدينهم ومنهجهم.

ولولا ذلك الفهم لتناقض الحديث مع الواقع، فقد كان زمن عمر بن عبد العزيز خيرًا من زمن الحَجَّاج وكذلك زمن نور الدين محمود الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي، اللذين حرَّر الله على أيديهما أرض الإسلام من الصليبيين، وأحيا بهما السنة، وأمات البدعة، كان خيرًا من أزمنة من قبلهما.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٦٠)، ومسلم (٢٨٨٥)، كلاهما في الفتن.

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٨)، وأحمد (١٢٣٤٧)، والترمذي في الفتن (٢٢٠٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكذلك لو أخذ الحديث على ظاهره كما يفهمه كثيرون، لتناقض مع الأحاديث التي دلت على ظهور الإسلام، وانتشاره قبل قيام الساعة.

أحداث بعد الصحابة:

من قرأ حديث رسول الله ﷺ فيما يتعلق بأشراط الساعة، وموارد الفتن قبل أن تقوم القيامة، يجد فيها كثيرًا من الأحداث التي تضطرب فيها عقول الناس وأفهامهم، ويضعف فيها الإيمان، وتغلبُ دنياهم على دينهم، وينتصر الشرُّ على الخير، والفجور على التقوى، ويحقِّر الرجل أباه، ويوالي صديقه، ويطيع امرأته، ويعقّ أمه، وتُتَّخذ الأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، ويسود القبيلة أو الجماعة فاسقها أو نساؤها، ويُكرم الرجل مخافة شرِّه، ويبيع الناس دينهم بعَرَضٍ يسير من الدنيا.

لنقرأ بعض هذه الأحاديث التي صحَّت أو حسُنت في هذا الموضوع:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**تكون بين يدي الساعة فِتَنٌ كقِطَع الليل المُظلِم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، يبيع أحدُهم دينَه بعَرَضٍ من الدنيا**»[1].

فانظر إلى هذه الفتن التي شبَّهها الرسول الكريم بقِطَع الليل المظلم، لسوادها، والتباس الأمور فيها، بحيث يختلط كثير من الأمور على الناس، مع اختلاط الأمر عليهم، وضعف دينهم، بحيث يسارع أحدهم بتبديل دينه، وكان المسلم قبل ذلك يتعرض للأذى، بل للقتل، ولا يفرِّط في دينه.

(١) رواه الترمذي (٢١٩٧)، وقال: غريب. والحاكم (٤٣٨/٤)، كلاهما في الفتن، وسكت عنه هو والذهبي، وحسنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣٨/٨ ـ ١٣٩)، والألباني في الصحيحة (٨١٠).

QaradawiBooks.com

وعن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع بنُ لكع**»[١]. ولُكَعُ بنُ لُكَع، يعني: الأحمق، أو الجاهل، أو اللئيم. أيْ: صنف لا وزن له ولا قيمة في الناس، يكون هو صاحب الحظ في الدنيا، وهذا دليل على انحطاط مستوى الدين والأخلاق.

فُشُوُّ الجهل بالدين وقلة العلماء الراسخين:

وعن أنس بن مالك أنه قال عند قرب وفاته: ألا أحدثكم حديثًا سمعتُه من رسول الله ﷺ، لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه؟ سمعته يقول: «**إنَّ من أشراط الساعة: أن يُرفَع العِلْم، ويظهر الجَهْل، ويفشو الزنى، ويُشرَب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قَيِّم واحد**»[٢].

والمراد برفع العلم هنا: العلم بالإسلام: العلم بعقيدته، والعلم بشريعته، والعلم بأخلاقه، والعلم بسيرة نبيه وصحابته وتاريخه، والعلم بكل ما يُعين على الدعوة الإسلامية، والتربية الإسلامية، وتحكيم الشريعة الإسلامية، وتجميع الأمة الإسلامية.

فليس المراد: علوم الطبيعة والأرض والبحر والفلك، ولا الرياضيات والإنسانيات وعلوم المجتمع، وغيرها من علوم الدنيا، فإنها متوفِّرة، وقد ينبغ فيها الكثيرون.

وممَّا يدل على ذلك: ما رواه الشيخان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ: أنه سمعه يقول: «**إن الله لا يقبض العلم**

(١) رواه أحمد (٢٣٣٠٣)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والترمذي في الفتن (٢٢٠٩)، وحسنه.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣١)، ومسلم في العلم (٢٦٧١).

QaradawiBooks.com

انتزاعًا، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ الناس رؤوسًـا جُهَّالًا، فسُـئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا»[١].

قال الإمام ابن العربـي: «وأما ذهاب العلم، قال المشـيخة: فيكون بوجوده، إما بمحوه من القلوب، وقد كان في الذين قبلنا، ثم عصم هذه الأمة، فذهاب العلم منها بموت العلماء. وقد قال جماعة من الناس: إن ذهاب العلم يكون أيضًا بذهاب العمل به، فيحفظون القرآن ولا يعملون به فيذهب العلم... والذي عندي أن الوجـوه الثلاثة في هذه الأمة، فقد يذنب الرجل حتى يُذهِب ذنبُه علمَه، وقد يقرؤه ولا يعمل به، وقد يُقبض بعلمه، فلا ينتفع أحد به، أو يُمنع من بثِّه، فيذهب لوقته»[٢].

قلة عدد الرجال أمام عدد النساء:

وممَّا لم يقع في دنيانا إلى اليوم ما نبَّأ به الحديث الشـريف من قلة عدد الرجال أمام عدد النساء، حتى يصبح لكل خمسين امرأة رجل واحد يقوم بشؤونهن، ويشرف عليهن، أي تكون نسبة الرجال إلى النساء نسبة (١:٥٠)، ولا بدَّ أن يكون ذلك بسـبب الحروب التي تَهلِك فيها الأعداد الكبيرة من الرجال، ولا يبقى إلا النسـاء، مع أن كثيرًا من الدول أصبح يُشرك النساء في الحروب، كما في إسرائيل.

وقد أحسَّ النـاس بعد الحرب العالميـة الثانية في أوربـا بقلة عدد الرجال أمام كثرة النساء، حتى دعا منهم من دعا إلى إباحة تعدد الزوجات، ولكن هذا شيء، وما يذكره الحديث شيء آخر، نعوذ بالله من شرِّه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم.

(٢) عارضة الأحوذي لابن العربي (١٢٠/١٠، ١٢١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

التباهي في بناء المساجد وزخرفتها:

ومن الأحاديث هنا: ما رواه أنس، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»[١]. أيْ: أن المساجد تُبنى، وليس المهم أن تكون بيوتًا لله يُذكَر فيها اسمه، ويسبَّح بحمده، وتقام شعائره، ولكن لأن يقال: فلان بنى مسجدًا مساحته كذا وكذا، وبه من الطوابق كذا وكذا، وأحجاره وأعمدته كذا، إلخ.

وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب بنيان المساجد[٢]: قول أنس رضي الله عنه: يتباهَون ثم لا يعمرونها إلا قليلًا[٣]. وقولَ ابن عباس رضي الله عنهما: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى[٤].

قال الإمام العيني: «المباهاة هي المفاخرة، والمعنى: أنهم يزخرفون المساجد، ويزينونها، ثم يقعدون فيها، ويتمارَوْن، ويتباهَوْن، ولا يشتغلون بالذِّكْر، وقراءة القرآن، والصلاة»[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٢٣٧٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (٤٤٩)، وابن ماجه (٧٣٩)، والنسائي (٦٨٩)، كلاهما في المساجد، وابن حبان في الصلاة (١٦١٤)، وصحَّح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٨٧٩).

(٢) صحيح البخاري (٩٦/١).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الصلاة (٣١٦٣) موقوفًا، ورواه مرفوعًا أبو يعلى (٢٨١٧)، وابن خزيمة في الصلاة (١٣٢١).

(٤) رواه أبو داود (٤٤٨)، وابن أبي شيبة (٣١٦٥)، وابن حبان (١٦١٥)، ثلاثتهم في الصلاة، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٥).

(٥) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٢٠٥/٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

انتشار الإلحاد في الأرض:

وعن أنس أيضًا، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال فـي الأرض: الله الله**»[١]. أي: لا ينادي أحد باسم الله، والدعوة إليه، وإلى عبادته وتقواه.

وهذا في الغالب يكون بعد أن تنتهي مدة بقاء عيسى ابن مريم بعد نزوله، فتكون للإسـلام رجعة جديدة، وأمة سـعيدة، ودولة مشـيدة، وتدخل الأمم جميعًا في الإسلام، ويسود في الأرض السلام، ثم يموت عيسى عليه السلام، وبعده تتغيَّر الأمور، وتنقبـض الصدور، ويتبدل الحال، ويرجـع الناس القهقرى، ويذهب الصالحون، ولا يبقى إلا الطالحون، بل الكافرون. والعياذ بالله.

عدم حج البيت:

وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيتُ**»[٢].

ولا بـدَّ أن ذلك في الفتـرة الكئيبة بعد المسـيح ابن مريم، فالذي نشـهده كل عام، ولا يزال يتكرر، ويزداد إقبالًا وراء إقبال، إقبال الناس على الحج، ولا يزال الناس يقدِّمون إلى القرعة للحج في بلاد مختلفة، لعلهم تصادفهم الحظوظ الطيبة، فيسـعدون بالحج، فكيف يتغيَّر هذا؟ وكيف ينقلب الناس على أعقابهم؟! هذا ما نستعيذ بالله من شرِّه، وندعو الله للمسلمين الصالحين ألا يدركوه، ومن أدركه منهم أن يكون ضده.

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٤٨)، وأحمد (١٢٠٤٣)، والترمذي في الفتن (٢٢٠٧).

(٢) رواه أبو يعلى (٩٩١)، وابن حبان في التاريخ (٦٧٥٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والحاكم في الفتن (٤/٤٥٣)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وعلَّقه البخاري في الحج (١٥٩٣).

QaradawiBooks.com

اتِّباع الأمة سَنَن الأمم التي ضلَّت قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع:

ومن أحاديث أشراط الساعة: ما رواه البخاري، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**». فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومَنِ الناس إلا أولئك**»(١).

وفي معناه الحديث الذي رواه أحمد والشيخان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**لتتبعُنَّ سَنَن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جُحْر ضبٍّ، لسلكتموه!**». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**»(٢).

ورواه الحاكم والبزار، عن ابن عباس، وزاد فيه: «**وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه!**»(٣).

وهذه الأحاديث النبوية كلها تحذِّر الأمة من أن تفرِّط في كينونتها ومنهجها وخصائصها، ولا يحب الله ولا رسوله للأمة أن تنزل عن سماتها الذاتية وأخلاقها الشخصية، وموازينها الدينية لغيرها، وأن يصبح أكبر همِّها مجاراة غيرها واتباعهم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، وتفقد الأمة هُويتها وانتماءها، لتصبح ذيلًا لغيرها، تتبعه في كل شيء، حتى لو دخلوا ـ أو سلكوا ـ جُحْر ضبٍّ، مع أنه مَثَل سيئ في الضيق والالتواء والظلمة وسوء الرائحة؛ لأصبح دخول جحر الضب (موضة) منشودة ومطلوبة، وحتى لو ارتكبوا الشنائع غير المألوفة، كأن وطئ أحدهم امرأته في الطريق لفعلوها!

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام (٧٣١٩)، وأحمد (٨٣٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، كما رواه أحمد (١١٨٠٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه الحاكم في الفتن (٤/٤٥٥)، وصححه، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فَيْض المال واتِّساع الثروات:

ومما رواه مسلم، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله، فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**»(١).

وفي حديثٍ آخر متفق عليه عن أبي هريرة: «**حتى يُهِمَّ ربَّ المال مَن يقبل صدقته، وحتى يَعْرِضه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي به**»(٢).

وبعضهم يقول: هذا حدث في عهد عمر بن عبد العزيز، ولكن هذا الحديث يدل على أنه في آخر الزمان، وأن المال يكثر، ولا يحتاج الناس إليه، ولا بدَّ أن يكون ذلك في الزمن الأخير، حين يقلّ الناس، وتكثر الأشياء.

قتال اليهود والمسلمين:

ومن الأحاديث التي جاءت في ذلك: أحاديث قتال اليهود والمسلمين، مع أن اليهود عاشوا قرونًا طويلة في ديار المسلمين، أهلَ ذمَّة لهم، ولكنهم من خلال الأمان الذي أعطاه لهم المسلمون، الحرية لهم في دينهم ودنياهم وسائر الحقوق الإنسانية التي يتغنَّى بها الناس في عصرنا، حتى تمنَّى بعض المسلمين أن تُفرض عليهم الجزية، ويعيش في عزة وكرامة ويسر، كما يعيش اليهود، من خلال ذلك تآمر بعض اليهود على المسلمين، وطمعوا في أرضهم، وزعموا أنها لهم ـ أعني: أرض فلسطين ـ وأسَرُّوا في أنفسهم، وتقابلوا مع أصدقائهم، ليأخذوا

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٥٧) (٦٠)، وأحمد (٩٣٩٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧) (٦١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

بلدًا إسلاميًّا، ويطردوا أهله منه، ويقاتلوهم ويقتلوهم، حتى قامت دولة (إسرائيل)، على أرض عرب فلسطين، وعلى حساب شعب فلسطين، وستظل المعركة بين الطرفين، حتى ينتصر أهل الحق.

يعبِّر الرسول ﷺ عن ذلك العهد، فيقول: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فتعالَ فاقتله**»[(١)].

اقتتال فئتين عظيمتين من الناس دعواهما واحدة (أشبه بالحرب العالمية):

ومن أحاديث أبي هريرة، ما رواه أحمد والشيخان مرفوعًا، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجَّالون كذَّابون، قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله**»[(٢)].

وليس في هذا الحديث أن الفئتين من المسلمين، وهو أكثر ما ينطبق على الحرب العالمية الثانية، التي اقتتلت فيها فئتان عظيمتان، إما بالأصالة، وإما بالتبعية، تكاد تكون كل فئة منهما نصف العالم، اقتتلتا، وقتل بعضهم من بعض ملايين، ودعواهما واحدة، كلتاهما تنادي بالدنيوية التي ترفض الآخرة، وبالعلمانية: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله. لا تحتكم واحدة منهما إلى شرع الله، ولا إلى دين الله، بل اتفقتا على إبعاد الدين عن الدولة والسياسة، فلا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٧.

QaradawiBooks.com

الكذابون الدجَّالون أدعياء النبوة:

والشطر الآخر في الحديث في بَعْث الكذابين، وهذا قد بدأ في أواخر حياة رسول الله ﷺ، حين ظهر مسيلمة الكذاب، وفي عهد أبي بكر ظهر معه آخرون، مثل سجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي.

ولكن لم يظهر هؤلاء الثلاثون كلهم، فلعل زمنًا يأتي، يظهر فيه هؤلاء، فنحن لا نعرف ماذا يخبِّئه القدر؟ وما يخفيه عنا صدرُ الزمان؟

نحن بما عندنا اليوم من ظهور للدين وعلمائه ودعاته، واستجابة الكثيرين من رجال الأمة ونسائها، من شبابها وشابَّاتها، صعُب على كثير منا أن يصدق أن هذا يمكن أن يحدث، ولكن في الزوايا خبايا، وفي جُعبة الأيام كثير من الأحداث. وقد قال طَرَفة:

سَتُبْدِي لكَ الأيَّامُ ما كُنتَ جاهلًا ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تزوِّدِ![1]

تقارب الزمان:

وعن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالضَّرَمة من النار**»[2]. أي: كإشعال عود الكبريت.

---

(١) ديوان طرفة بن العبد صـ٢٩، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٣٢)، وقال: غريب. والبزار (٦٢١٦)، عن أنس. ورواه أحمد (١٠٩٤٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في التاريخ (٦٨٤٢)، عن أبي هريرة. وصححهما الألباني في صحيح الجامع (٧٤٢٢).

QaradawiBooks.com

وتقارب الزمان معناه: سرعة ذهابه، لفقدان البركة منه، أو لاستخدام الناس أدوات أصبحت تُنجِز للناس أعمالهم بسرعة، فاختُصر الزمان، فما كان يقضيه الناس في الزمان الماضي في سنين، كالذهاب إلى الحج من البلاد البعيدة، أصبح يقضيه في ساعات في الطيران. وربما يخترع المخترعون من الطيارات ما هو أشد سرعة من الطائرات الحالية، وقد رأينا في حياتنا وعصرنا قفزات كبيرة وهائلة، هوَّنت علينا أن نتصور الكثير مما لم يكن في حسبان الناس، ولعل هذا التغيير لتقارب الزمان، بالسرعة الهائلة التي أصبحت شعار العصر، فالناس يقولون: عصر السرعة. والسرعة أصبحت مطلوبة للناس في كل شيء.

فترات الضعف التي تنزل بالأمة:

وتمر فترات تضعف فيها الأمة، فتظهر أمام خصومها في مظهر من يتهادى أمام أعدائه، ويخر راكعًا أمام قوَّتهم، فبعد أن كان المسلمون في ميادين الحروب أُسودًا، يفرُّ أعداؤهم أمامهم، وقد عرف الجميع عنهم أنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار، تغيَّر الحال، وتغيَّر المقال، وأصبح أعداؤهم هم الذين ينتصرون ولا يفرُّون، وصرنا نحن المنهزمين.

روى الإمام أحمد في مسنده، عن الحسن، عن سمُرة، عن النبي ﷺ قال: «**توشكون أن يملأ الله أيديكم من العجم** ـ وقال عفان مرة: من الأعاجم ـ **ثم يكونون أُسْدًا لا يفرون، يقتلون مُقاتِلتَكم، ويأكلون فَيْئكم**»[1]. أي: ينقلب الحال، ويصير الأسود نعاجًا، وتصير النعاج أسودًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) رواه أحمد (٢٠١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الكبير (٢٢١/٧)، والحاكم في الفتن (٨٥٦٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فترات الامتحان:

وأخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة: «**يوشك الفرات أن يُحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره، فلا يأخذ منه شيئًا**»(١).

وفي رواية: «**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مائة تسعةٌ وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لَعلِّي أكون أنا الذي أنجو**»(٢).

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفًا مع أُبيِّ بن كعب، فقال: لا يزال الناس مختلفةٌ أعناقُهم في طلب الدنيا. قلتُ: أجل. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليُذْهَبَنَّ به كله**». قال: «**فيقتتلون عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون**»(٣).

ولا أدري ما المقصود بهذا الكنز، أو هذا الجبل من الذهب؟ هل هو مقصود بظاهره، أو المقصود كثرة المال في العراق، الذي يغري الكثيرين، فيفتك بهم، ولا يأخذ أحد منه إلا ما هو له.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤)، كلاهما في الفتن.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٤)، وأحمد (٧٥٥٤). قال الطيبي في قوله: «لَعلِّي أكون أنا الذي أنجو»: فيه كناية؛ لأن الأصل أن يقال: أنا الذي أفوز به، فعدل إلى أنجو؛ لأنه إذا نجا من القتل تفرَّد بالمال وملكه. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (٣٤٣٨/١١)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٥).

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة

اقتراب الساعة أكثر فأكثر:

وروى البخاري بسنده، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يُبعث دجَّالون كذَّابون، قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل[1]، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج ـ وهو القتل ـ وحتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى يُهِمَّ ربَّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه عليه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَب لي به. وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه! وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]، **ولتقومَنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهما بينهما، فلا يتبايعانه، ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحَته** (ناقته)، **فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يَلِيط حوضَه** (يصلحه ويسدُّ شقوقه)، **فلا يَسقِي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكْلَته** (لُقْمته) **إلى فيه، فلا يطعمها**»[2].

---

(١) الزلازل: جمع زلزلة، وهي حركة الأرض واضطرابها. والظاهر المتبادر هو تفسير الزلازل بمعناها الحقيقي المتعارف عليه، وقد نجد في بعض كتب أهل العلم من يُفسّر الزلازل بالفتن، والحروب الواقعة في آخر الزمان لكثرة الحركة فيها، وقد بيَّن الإمام ابن رجب الحنبلي بُعد هذا التفسير عن الصواب فقال: وأما كثرة الزلازل، فهو مقصود البخاري في هذا الباب من الحديث. والظاهر: أنه حمله على الزلازل المحسوسة، وهي ارتجاف الأرض وتحركها، ويمكن حمله على الزلازل المعنوية، وهي كثرة الفتن المزعجة الموجبة لارتجاف القلوب. والأول أظهر؛ لأن هذا يغني عنه ذكر ظهور الفتن. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨٧/١٣): وقد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها: شمولها ودوامها. فتح الباري لابن رجب (٢٤٤/٩).

(٢) رواه البخاري في الفتن (٧١٢١).

QaradawiBooks.com

وروى الإمام أحمد بسنده، عن سعد بن أبي وقاص، قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها**»[١]. أي: لا يميزون بين حلال وحرام، وبين حق وباطل، ولكن كل ما تصل إليه ألسنتهم أكلوه.

وروى مسلم بسنده، عن ابن شهاب الزهري، أن أبا إدريس الخولاني، كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في ذلك شيئًا لم يُحدِّثه غيري، ولكنَّ رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلِسًا أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: «**منهن ثلاثٌ لا يكدْن يذَرْن شيئًا، ومنهن فتنٌ كرياحِ الصيف، منها صغار، ومنها كبار**». قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري[٢].

وروى مسلم، من حديث زهير، عن سُهَيل، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**منعت العراق درهَمَها وقَفِيزها** (مكيال لأهل العراق)، **ومنعت الشام مُدْيَها** (مكيال لأهل الشام) **ودينارها، ومنعت مصر إرْدَبَّها ودينارها، وعُدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم، وعدتم من حيث بدأتم**». شهد على ذلك لحمُ أبي هريرة ودمه[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن الجريري، عن أبي نضرة، قال: كنا عند جابر، فقال: يوشك أهل العراق ألا يُجْبَى إليهم

---

(١) رواه أحمد (١٥٩٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والبزار (١٢١٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٨١): ورجاله رجال الصحيح إلا أن زيد بن أسلم لم يسمع من سعد. وحسَّنه الألباني في المشكاة (٤٧٩٩).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩١)، وأحمد (٢٣٤٦٠).

(٣) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٦)، وأحمد (٧٥٦٥)، وأبو داود في الخراج والإمارة (٣٠٣٥).

QaradawiBooks.com

قفيز، ولا درهم. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل العَجَم، يمنعون ذلك. ثم قال: يوشك أهل الشام ألا يُجْبَى إليهم دينار، ولا مُدْيٌ. قلنا: من أين ذاك؟ من قبل الروم، يمنعون ذاك. قال: ثم سكت هُنَيْهَة، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة، يحثو المال حَثْوًا، لا يعدُّه عدًّا**». قال الجُرَيْري: فقلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريانه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا[1].

ظهور الشُّرَط:

وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طالت بكم مُدَّة، أوشك أن ترى قومًا يغدُون في سخط الله، ويروحون في لعنته، في أيديهم مثل أذناب البقر**»[2].

وقد روينا حديث أبي هريرة المتقدم: «**صنفان من أهل النار لم أرَهما...**»[3]. وأولهما هؤلاء القوم، الذين يؤذون الشعوب بسياطهم.

وروى الإمام أحمد، عن مكحول، عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله، متى ندع الائتمار بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشة في كِبَاركم، والمُلْك في صغاركم، والعلم في رُذَالِكم**»[4].

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩١٣)، وأحمد (١٤٤٠٦).

(٢) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٧)، وأحمد (٨٠٧٣).

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٤.

(٤) رواه أحمد (١٢٩٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٥)، والضياء في المختارة (٢٦٦٧).

QaradawiBooks.com

تداعي الأمم على أمة الإسلام كما تتداعى الأَكَلَة إلى قصعتها:

روى الإمام أبو داود في سننه، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**توشك الأمم أن تَدَاعى عليكم كما تداعى الأَكَلة إلى قصعتها**». فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعَنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوَهْن**». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدنيا، وكراهِيَة الموت**»[1].

والأمة يومئذ كثيرة من حيث العدد، ولكن العبرة بالكيف لا بالكم، فهم غثاء كغثاء السيل، وغثاء السيل: ما يحمله من الحطب والورق والعيدان والأوساخ، وكله خفيف الوزن، يطفو ولا يثقل، وهو غير ما يحمله النهر من ماء يجري في مجرى معلوم، ومساق مرسوم، فهو يعرف مساره، ويعرف مَصبَّه، بخلاف مسار غثاء السيل الذي تعيش فيه أمتنا في هذه المرحلة، نسأل الله أن يخرجها منها.

التحذير من الفتنة والبعد عن شرها:

وروى مسلم في صحيحه وأبو داود في مسنده، بسندهما عن أبي بكرة، قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتنةٌ، يكون المُضْطَجعُ فيها خيرًا من الجالس، والجالس خيرًا من القائم، والقائم خيرًا من الماشي، والماشي خيرًا من الساعي**». قال: يا رسول الله، ما تأمرني؟ قال: «**من كانت له إبل فليلحق بإبلِه، ومن كانت له غنم، فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**». قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨).

QaradawiBooks.com

قال: «**فليعمد إلى سيفه فليضرب بحدِّه على حَرَّة، ثم لْيَنْجُ ما استطاع النَّجَاء**». وزاد مسلم: «**اللهمَّ هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**». قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيتَ إن أُكرِهت حتى يُنطَلَق بي إلى أحد الصَّفَّين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»[(١)].

وروى أبو داود، عن سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: فقلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ إن دخل عليَّ بيتي، وبسط يده ليقتلني؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**كن كابن آدم**». وتلا يزيد (شيخ أبي داود): ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ ...﴾ [المائدة: ٢٨][(٢)]. انفرد به أبو داود من هذا الوجه. والآية هي قوله تعالى: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وروى أحمد، عن بشر بن سعيد، أن سعد بن أبي وقاص قال: عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنةٌ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**». قال: أفرأيت إن دخل عليَّ بيتي، فبسط يده إليَّ ليقتلني؟ قال: «**كُنْ كابن آدم**». وهكذا رواه الترمذي وحسَّنه[(٣)].

وروى أبو داود، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يَدَيِ الساعة فتنًا كقِطَع الليل المظلِم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا،**

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٧)، وأحمد (٢٠٤١٢)، وأبو داود في الفتن (٤٢٥٦).

(٢) رواه أبو داود في الفتن (٤٢٥٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٥٨١).

(٣) رواه أحمد (١٦٠٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والترمذي في الفتن (٢١٩٤)، وحسَّنه.

QaradawiBooks.com

ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قِسِيَّكم، وقطِّعوا أوتاركم، واضربوا سيوفَكم بالحجارة، فإن دُخِلَ على أحد منكم، فليكن كخيرِ ابنَيْ آدم»[1].

وروى الإمام أحمد، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ركب رسول الله ﷺ حمارًا، وأردفني خلفه، وقال: «**يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناسَ جوع شديد، لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**تعفَّف**». قال: «**يا أبا ذر، أرأيت إنْ أصاب الناسَ موتٌ شديد يكون البيت فيه بالعبد** ـ يعني القبر[2] ـ **كيف تصنع؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**اصبر**».

قال: «**يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناسُ بعضُهم بعضًا** ـ **يعني** ـ **حتى تغرق حجارة الزَّيْت**[3] **من الدماء، كيف تصنع؟**». قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك**». قال: فإن لم أُتْرَك؟ قال: «**فأْتِ مَنْ أنت منهم، فكن فيهم**». قال: فآخذُ سلاحي؟ قال: «**إذًا تشاركَهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعَك شُعَاع السيف فألق طرَفَ ردائك على وجهك، حتى يبوء بإثمه وإثمك**»[4].

---

(١) رواه أحمد (١٩٧٣٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٩٦١)، كلاهما في الفتن.

(٢) يعني: تكون قيمة القبر كقيمة العبد من كثرة الموت.

(٣) حجارة الزيت أو أحجار الزيت: موضع بالمدينة، وهو موضع صلاة الاستسقاء. انظر: معجم البلدان (١٠٩/١)، نشر دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.

(٤) رواه أحمد (٢١٣٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، كلاهما في الفتن.

QaradawiBooks.com

هكذا رواه الإمام أحمد، وقد رواه أبو داود وابن ماجه بسنديهما، عن أبي ذر بنحوه.

وهذا التوجيه النبوي بالاعتزال من الفتن والبُعد عن شـرها ونارها، إنما المقصـود به الفتن التي تلتبـس فيها الأمور، ويختلـط فيها الحق بالباطل، ولا يعرف فيها المرء المسلم المُحِقَّ من المُبْطِل، فحينئذ يلزمه أن يعتزل الفِرق كلها، وإن أصابه من هذه الفتن ما أصابه، فله أجره عند الله، وكلٌّ بِنِيَّتِه.

ما أعطى الله تعالى لهذه الأمة:

روى الإمام أحمد ومسلم، عن ثوبان قال: إنَّ النبي ﷺ قال: «**إن الله زوى** (أي: جمع وضمَّ) **لي الأرض، فرأيت مشارقَها ومغاربَها، وإن مُلْك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وإني أُعْطِيت الكَنْزين: الأحمر والأبيض، وإني سألتُ ربي لأُمَّتي ألا يهلكوا بسَـنَة بعامَّة، ولا يسلِّط عليهم عدُوًّا من سـوى أنفسـهم، فيسـتبيح بَيْضتهم** (أي: موضع سـلطانهم)، **وإن ربي** ﷻ **قال: يا محمد، إني إذا قضيتُ قضاء فإنه لا يُرد، وإني أعطيتُك لأمتك ألا أهلكهم بسنَة عامة، وألا أسلِّط عليهم عدُوًّا من سوى أنفسهم، فيسـتبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَن بأقطارهـا ـ أو قال: مِن بينِ أقطارها ـ حتى يكون بعضُهم يُهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المُضِلِّين، وإذا وُضِع في أمتي السـيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة**[1].

(١) قال ابن العربـي: وكانت هذه الأمة معصومة منه مدة من صدر زمانها، مسـدودًا عنها باب الفتنة، حتى فتحـت بقتل إمامها عثمان رضي الله عنه، فكان أول وضع السـيف. عارضة الأحوذي (٣٩/٩)، وانظر: فيض القدير (٤٥٢/١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان.

وإنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ﷻ»[(١)]. ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق بنحوه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فتنة الأحلاس: فسطاط الإيمان، وفسطاط النفاق:

روى أبو داود، عن عمير بن هانئ العنسي، سمعت عبد الله بن عمر يقول: كنا قعودًا عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنةَ الأحلاس[(٢)]، فقال قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس؟ قال: «**هي هَرَب وحَرَب**[(٣)]، **ثم فتنة السَّرَّاء**[(٤)]، **دخنُها من تحت قدمَيْ رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتَّقون، ثم يصطلح الناس على رجل ـ يجتمعون على بيعة رجل ـ كوَرِك على ضِلَع**[(٥)]، **ثم فتنة الدُّهَيْماء، لا تدع أحدًا من هذه**

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

(٢) الأحلاس جمع حلس، وهو: ما يُبْسَط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع. المعجم الوسيط مادة (ح. ل. س). قال الخطابي في معالم السنن (٣٣٧/٤): قوله: «فتنة الأحلاس». إنما أضيفت الفتنة إلى الأحلاس لدوامها، وطول لُبثها. يقال للرجل: إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه، هو حِلْس بيته؛ لأن الحِلْس يُفْتَرَش فيبقى على المكان ما دام لا يرفع.

(٣) الحرب بالتحريك: نهب مال الإنسان، وتركه لا شيء له. انظر: النهاية مادة (ح. ر. ب).

(٤) وفتنة السراء: أي التي تسر الناس من الصحة والرخاء، ويكون السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة النعيم.

(٥) قال ابن منظور: أي يصطلحون على أمر واهٍ، لا نظام له ولا استقامة، لأن الورك لا يستقيم على الضلع، ولا يتركب عليه، لاختلاف ما بينهم وبُعْدِه. لسان العرب مادة (و. ر. ك).

QaradawiBooks.com

الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقضت. تمَادَت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان، لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق، لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم، فانتظروا الدجال من يومه أو غده». تفرد به أبو داود[١]. وقد رواه أحمد في مسنده، عن أبي المغيرة بمثله[٢].

وروى أبو داود بسنده، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف بكم وبزمان ـ أو: يوشك أن يأتي زمان ـ يُغربَل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس**[٣] **قد مَرِجت** (أي: اختلطت وفسدت) **عهودُهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا؟**». وشبَّك بين أصابعه. فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «**تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما تنكرون، وتُقبلون على أمر خاصَّتِكم، وتذرون أمر عامَّتِكم**».

قال أبو داود: هكذا روي عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ من غير وجه[٤].

ثم روى أبو داود بسنده، عن عكرمة، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ، إذ ذُكرت الفتنة، فقال: «**إذا رأيتم الناس قد مَرِجت عهودهم، وخفَّت أماناتهم، فكانوا هكذا**». وشبَّك بين أصابعه. قال: فقمت إليه، فقلت: كيف

---

(١) رواه أبو داود في الفتن (٤٢٤٢)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤/٤٦٦)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (٦١٦٨)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٣) الحثالة هم سفلة الناس وغوغاؤهم.

(٤) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤٢)، وأحمد (٧٠٦٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٧).

QaradawiBooks.com

أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: «**الزم بيتَك، واملِك عليك لسانَك، وخذ بما تعرف، ودعْ ما تنكر، وعليك بأمر خاصَّة نفسك، ودع عنك أمر العامَّة**»[١].

توالي الفتن يُرَقِّق بعضها بعضًا:

روى الإمام أحمد، عن عبد الرحمٰن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، قال: كنتُ جالسًا معه في ظل الكعبة وهو يحدِّث الناس، قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا منزلًا، فمِنَّا من يضرب خِباءَه، ومنَّا من هو في جَشَرِه[٢]، ومنا من ينتضل[٣]، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، قال: فانتهيت إليه، وهو يخطب الناس ويقول: «**أيها الناس، إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته على ما يعلمه خيرًا لهم، وينذرهم ما يعلمه شرًّا لهم، ألا وإن عافية هذه الأمة في أولها، وسيصيب آخرَها بلاء وفتن، يرقِّق**[٤] **بعضها**

---

(١) رواه أحمد (٦٩٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الملاحم (٤٣٤٣)، والحاكم في الأدب (٢٨٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) الجَشَر، قال النووي: هو بفتح الجيم والشين، وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها. شرح النووي على مسلم (٢٣٣/١٢).

(٣) أي: يرمي بسهمه.

(٤) قال النووي: هذه اللفظة رويت على أوجه: أحدها، وهو الذي نقله القاضي عياض عن جمهور الرواة: يرقِّق بضم الياء وفتح الراء وبقافين، أي: يَصِير بعضُها رقيقًا. أي: خفيفًا، لعظم ما بعده. فالثاني يجعل الأول رقيقًا. وقيل: معناه يُشبه بعضها بعضًا. وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء. وقيل: معناه يسوق بعضها إلى بعض بتحسينها وتسويلها. والوجه الثاني: فيَرفُق، بفتح الياء وإسكان الراء، وبعدها فاء مضمومة، والثالث: فيدفق، بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة، أي يدفع ويصب. والدفق: الصب. المصدر السابق.

QaradawiBooks.com

بعضًا، تجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مُهْلِكَتي. ثم تنكشف، ثم تجيء فيقول: هذه هذه. ثم تجيء، فيقول: هذه هذه. ثم تنكشف، فمن أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتُدركه مَنِيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه. ومن بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه[١]، فليطعه إن استطاع». وقال مرة: «ما استطاع». فلما سمعتها أدخلت رأسي بين رَجُلَين، قلتُ: فإن ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا. فوضع جُمْعَه على جبهته، ثم نكس، ثم رفع رأسه، فقال: أطِعه في طاعة الله، واعْصه في معصية الله. قلت له: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، سمعته أذناي، ووعاه قلبي[٢].

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، من حديث الأعمش به[٣]، وأخرجه مسلم أيضًا، من حديث الشعبي، عن عبد الرحمٰن بن عبد ربِّ الكعبة، عن عبد الله بن عمرو، بنحوه[٤].

وقال أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا الحسن بن عمرو، عن أبي الزبير، عن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم. فقد تُوُدِّع منهم**»[٥].

---

(١) أي: خاص عهده. النهاية في غريب الأثر مادة (ث. م. ر).

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٣).

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٤) (٤٦)، وأبو داود في الفتن (٤٢٤٨)، والنسائي في البيعة (٤١٩١)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٦).

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٤) (٤٧).

(٥) رواه أحمد (٦٥٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والبزَّار (٢٣٧٤)، والحاكم في الأحكام (٩٦/٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

فتح القسطنطينية قبل فتح رومية:

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثني أبو قَبِيل، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو، وسُئل: أيُّ المدينتين تُفْتَح أولًا: القسطنطينية أو رومية؟ قال: فدعا عبد الله بصندوق له حِلَق. قال: فأخرج منه كتابًا. قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تُفْتَح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفْتَح أولًا**». يعني القسطنطينية[1]. وصححه الألباني في أول الصحيحة.

وقد هيَّأ الله للمسلمين فتح القسطنطينية على أيدي الأتراك العثمانيين، وعلى يد الشاب المسلم ابن الثلاثة والعشرين عامًا، السلطان محمد بن مراد بن بايزيد، الملقب بالفاتح، والذي ادَّخر الله له فتحها، بعد أن حاول المسلمون من عهد الصحابة، فلم تُكتب لهم، وكتبها الله لهذا السلطان الفاتح العثماني رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة (٨٥٧هـ)، الموافق (١٤٥٣م)، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ بفتحها، وقد صدق فيه وفي جيشه الحديث النبوي الذي رواه الحاكم: «**لتفتحنَّ القسطنطينية، ولَنِعْم الأمير أميرها، ولنِعْم الجيش ذلك الجيش**»[2].

---

(١) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحح إسناده على شرطهما، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل، وهو ثقة. وصححه الألباني في الصحيحة (٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/٢)، والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

QaradawiBooks.com

وللأسف أرى كثيرًا من أبناء المسلمين، بل من علمائهم، من لا يزال ينظر إلى القسطنطينية وكأنها لم تُفْتَح، وينتظرون فتحها مع أشراط الساعة الكبرى، ومن فضل الله أن القسطنطينية يحكمها في هذه الأيام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من رجال الإسلام، ومن أهل الدعوة إليه.

نار تخرج من أرض الحجاز:

وروى الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «قال القرطبي في «التذكرة»[(٢)]: وقد خرجت نار بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة، الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ)، واستمرَّت إلى ضحى النهار يوم الجمعة.

وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام»[(٣)].

وروى الطبراني بسنده إلى حذيفة بن أَسِيد رضي الله عنه أنه قال: كنا نتحدث في ظلِّ غُرفة، فأشرف علينا رسول الله ﷺ من تلك الغرفة، فقال:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢)، كلاهما في الفتن.
وبُصرى، بضم الباء آخرها ألف مقصورة: مدينة معروفة بالشام، ويقال لها حوران. بينها وبين دمشق ثلاث مراحل، فتحها المسلمون عام ١٣هـ.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي صـ ١٢٣٦، تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٣) فتح الباري (٧٩/١٣)، وانظر: شرح مسلم للنووي (٢٨/١٨).

QaradawiBooks.com

«**ما تحدّثون؟**». قلنا: نتحدث عن الساعة. فقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رُومان أو رَكُوبة يضيء منها أعناق الإبل ببُصرى**»[١].

يقول الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «ورَكُوبة: ثنيَّة صعبة المرتقى في طريق المدينة إلى الشام، مرّ بها النبي ﷺ في غزوة تبوك.. ورومان: لعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة»[٢].

فالنبي ﷺ أخبر بأن الأرض سوف تنشقُّ، وتخرج منها الحمم الملتهبة، وأنها ستخرج على نحوٍ كثيف، إلى درجة أن الناس في الشام سوف يدركون حدوثها، ويرون نيرانها.

وشُرَّاح الحديث شبه متفقين على تحقُّق هذا الشرط من أشراط الساعة، فالإمام النووي عندما تعرَّض لشرح الحديث في صحيح مسلم قال ما نصّه: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة، سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقي، وراء الحرة، تواتر العلم بخروجها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة»[٣]. وقد نقل كلامه بنصه كثير من الشراح بعده.

وقد أفاض المؤرخون في بيان تفاصيل ذلك الحدث الكوني العظيم، وبالغوا في وصفه، في أحداث سنة ستمائة وأربع وخمسين للهجرة، وللشيخ قطب الدين القسطلاني تأليفٌ مفصّل في بيان حال هذه النار،

(١) رواه الطبراني (١٧٢/٣)، وفيه محمد بن رزيق، ترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام (١٠٢٧/٦)، ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، ومحمد بن هشام صدوق، والباقون ثقات.

(٢) فتح الباري (٨٠/١٣)، والثنيَّة هي العقبة والمرتفع من الأرض.

(٣) شرح صحيح مسلم (٢٨/١٨)

QaradawiBooks.com

سمّاه: «حمل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز»، يؤكّد أن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آيــة عظيمة، دالة على اقتراب الســاعة، أخبر النبي ﷺ بخروجها قبل ظهورها بمقدار ستمائة وخمسين سنة تقريبًا.

وقال الإمــام النووي: «وليس في الحديث أن نــار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة»[١].

قال القرضاوي: والذي يترجح لي أن هذه النــار التي كان بدؤها زلزلة، واستمرت نحو ثلاثة أيام ثم اختفت من سنة ٦٥٤هـ، ونحن في سنة ١٤٣٦هـ: أنها ليست هي المرادة، فلعلها لا تزال فيما يضمره القدر، وســيأتي تفصيل ذلك في الحديث عن النار التي تحشــر الناس من المشرق إلى المغرب.

انتشار الأمراض وكثرة الموت:

وروى البخاري، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قــال: أتيت النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أَدَم (من جلد)، فقال: «**اعدُد ســتًّا بين يدي الســاعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَان[٢] يأخذ فيكم كقُعاص الغنم[٣]، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيتٌ من العــرب إلا دخلته، ثم هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحــت ثمانين غاية** (أي: راية)، **تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**»[٤].

(١) شرح صحيح مسلم (٢/١٨).
(٢) بضم الميم وسكون الواو: الموت الكثير الوقوع. انظر: الفتح (٢٧٨/٦).
(٣) داء يصيب الغنم فيقتلها.
(٤) رواه البخاري في الجزية (٣١٧٦)، وأحمد (٢٣٩٩٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وقوله: «**مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم**». أي: ينتشر فيكم داء يكثر موتكم بسببه، ومن العلماء من قال: لعله الطاعون الذي انتشر بالشام أيام عمر رضي الله عنه، ومات فيه أبو عبيدة ومعاذ رضي الله عنهما وكثير من المسلمين.

وقد يكون شيء أعم من هذا وأشد، من الابتلاءات التي ينزلها الله بالناس، ولا تزال تظهر بين الحين والحين أحداث شديدة وغريبة، نسأل الله لأمتنا العافية.

غدر بني الأصفر:

أما غدر بني الأصفر، فهم الروم، فيأتون تحت ثمانين غاية ـ أي: راية ولواء ـ تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا، يعني: قريبًا من مليون. وقد رجَّح بعضهم أن ذلك ربما يكون الحرب العالمية الأولى التي على إثرها هدمت الخلافة العثمانية، وتقاسم الغرب بلاد المسلمين، وأظن أن ما نبَّأ به الرسول في هذا الحديث لم يحدُث بعد، وما حدث في الحرب العالمية الأولى لم يكن حربًا واضحة بين المسلمين والروم، بل كان بعضهم مع المسلمين وبعضهم ضدهم.

انقلاب الموازين وتصدر الرويبضات:

روى أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أمام الدجال سنين خداعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب، ويخوَّن فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة**»[1]. رواه أحمد وأبو يعلى والبزار بسند جيد.

(١) رواه أحمد (١٣٢٩٨)، وقال مخرِّجوه: حسن. والبزار (٢٧٤٠)، وأبو يعلى (٣٧١٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٢٦): فيه ابن إسحاق وهو مدلس. عن أنس.

QaradawiBooks.com

ومثله لابن ماجه، من حديث أبي هريرة، وفيه: قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الرجل التافه، يتكلَّم في أمر العامة**»[١].

يعني: في مصالح جماهير الناس وشؤونهم العامة، كما نرى أناسًا تافهين من الجاهلين والحمقى، أتيح لهم أن يتحدثوا في حاضر الأمة، وما يُتوقَّع من أخطار في مستقبلها، في أيديهم صحف سيارة، وقنوات شهيرة، ويعمل تحت أيديهم مئات ـ وربما آلاف ـ من الرجال، من الكُتَّاب والمُذِيعِين، والإخباريين والمراسلين والمصورين، وألوان من الرجال، أو مَن يُحسبون من الرجال وبينهم وبين الرجولة بون شاسع.

اشتداد الأحوال على الناس حتى يتمنَّى الرجل الموت:

ومن أحاديث أشراط الساعة: ما رواه الشيخان وأحمد، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه**»[٢].

يتمنى الرجل سرعة موته، بحيث يقول حين يمر على قبر من يعرفه: يا ليتني كنت مكانه. دلالة على سوء الحال الذي يعانيه في الدنيا، لعله مضطهد في دينه، أو مصادرةٌ حريته، أو مضيَّق عليه في سعيه وعيشه، ولذلك يرى الموت خيرًا له.

(١) رواه أحمد (٧٩١٢)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه (٤٠٣٦)، والحاكم (٤٦٥/٤)، كلاهما في الفتن، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١١٥)، ومسلم (١٥٧) (٥٣)، كلاهما في الفتن، كما رواه أحمد (١٠٨٦٦).

QaradawiBooks.com

شدة الاقتراب من الساعة:

روى الشيخان بسنديهما عن زينب بنت أم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش رضي الله عنهن، استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًّا وجهه يقول: «**لا إله إلا الله، ويْلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**». وعقد سفيان (ابن عيينة أحد رواة الحديث) تِسْعِين أو مائة. قيل: أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثُر الخَبَث**»[١].

وقول الرسول ﷺ: «**ويْلٌ للعرب**». يقصد به ويْلٌ للمسلمين، فكثيرًا ما يذكر لفظ العرب ويراد به أمة الإسلام، أو يراد العرب حقيقة؛ لأن العرب هم ذؤابة الإسلام، فإذا عزَّ العرب عزَّ الإسلام، وإذا ذلَّ العرب ذلَّ الإسلام. وكما قال الشاعر محمود غنيم:

إِنَّ العُروبةَ لَفْظٌ إِنْ نَطَقْتَ بِهِ فالشَّرْقُ والعُرْبُ والإِسْلامُ مَعْنَاهُ[٢]

إخباره بالفتن والأحداث بين يدي الساعة:

وروى البخاري بسنده، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فَزِعًا، يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عارية في الآخرة**»[٣].

وروى أبو يعلى في (مسنده)، عن قرظة بن حسان، سمعت أبا موسى في يوم جمعة على منبر البصرة يقول: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٦)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٠).
(٢) الأعمال الكاملة لمحمود غنيم (٨٠/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.
(٣) رواه البخاري في الفتن (٧٠٦٩)، وأحمد (٢٦٥٤٥)، والترمذي في الفتن (٢١٩٦).

QaradawiBooks.com

شاهد، فقال: «**لا يعلمها إلا الله، لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها، وما يكون بين يديها: إن بين يديها رَدْمًا من الفتن وهَرْجًا**». فقيل له: وما الهَرْج يا رسول الله؟ قال: «**هو بلسان الحبشة: القتلُ. وأن تجفَّ قلوب الناس، ويُلقى بينهم التناكرُ، فلا يكاد أحد يعرف أحدًا، ويُرفع ذوُو الحِجَا، وتبقى رِجْرِجة من الناس**[١] **لا تعرف معروفًا، ولا تنكر منكرًا**»[٢].

قتال الروم:

وروى الإمام أحمد بسنده، عن أُسير بن جابر، قال: هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هِجِّيرَى[٣] إلا: يا عبد الله بن مسعود، جاءت الساعة. قال: وكان متَّكِئًا فجلس، فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة. قال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام. ونحا بيده نحو الشام، قلتُ؟ الرُّوم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتالِ رَدَّة[٤] شديدة. قال: فيشترط المسلمون شُرطة[٥] للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شُرْطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شُرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء،

(١) الرجرجة، بكسر الراءين: بقية الماء الكدرة في الحوض المختلطة بالطين، فلا ينتفع بها. النهاية في غريب الحديث مادة (ر. ج. ر. ج).

(٢) رواه أبو يعلى (٧٢٢٨).

(٣) الهِجِّير والهِجِّيرى: الدأب والعادة والديدن. النهاية مادة (هـ. ج. ر).

(٤) الرَّدة بالفتح: العطفة القوية. انظر: النهاية مادة (ر. د. د).

(٥) الشرطة: أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة. النهاية مادة (ش. ر. ط).

QaradawiBooks.com

كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نَهَد[١] إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدَّبْرة[٢] عليهم، فيقتتلون مقتلة ـ إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم يُر مثلها ـ حتى إن الطائر ليمرُّ بجَنَبَاتهم، فما يخلفهم حتى يخرَّ ميِّتًا. قال: فيتعادّ بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأيِّ غنيمة يفرح؟ أو أي ميراث يقاسم؟ قال: فبينما هم كذلك؛ إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك. قال: فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريِّهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة. قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم أسماءَهم، وأسماءَ آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**»[٣].

وفي رواية جبير بن نفير، عن عوف بن مالك في تعداد الأشراط: «**وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا، وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة. في مدينة يقال لها: دمشق**»[٤]. رواه أحمد.

وروى أبو داود، من حديث جبير بن نفير أيضًا، عن أبي الدرداء، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغُوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام**»[٥].

---

(١) أي: نهض وتقدَّم.

(٢) الدبرة: قال النووي: أي: الهزيمة. ورواه بعض رواة مسلم: الدائرة. بالألف وبعدها همزة، وهو بمعنى الدبرة. شرح النووي على صحيح مسلم (٢٥/١٨).

(٣) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٩)، وأحمد (٤١٤٦).

(٤) رواه أحمد (٢٣٩٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والبزار (٢٧٤٢)، والطبراني (٤١/١٨).

(٥) رواه أحمد (٢١٧٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٨)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٨٦/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وروى مسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق**[١] ـ أو بدابق ـ **فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا**[٢] **مِنَّا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله، لا نُخلِّي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويُقتل ثلثُهم أفضلُ الشهداء عند الله، ويفتَتِح الثلثُ لا يُفتنُون أبدًا، فيفتتحون قُسطنطينية**[٣]**، فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفَكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعدُّون للقتال، يُسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب المِلْح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيُريهم دمه في حربته**»[٤].

وقال مسلم: حدثنا قُتَيبة، حدثنا جرير، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمُرة، عن نافع بن عتبة، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الأعماق: كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية. معجم البلدان (٢٢٢/١).

(٢) قال النووي: رُوِي «سُبوا» على وجهين: فتح السين والباء، وضمهما. قال القاضي في (المشارق): الضم رواية الأكثرين. قال: وهو الصواب. قلت: كلاهما صواب؛ لأنهم سُبُوا أولًا، ثم سَبَوا الكفار، وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار. شرح النووي على مسلم (٢١/١٨).

(٣) افتتاح القسطنطينية هنا لا يراد به الفتح الأول لها، فقد فتحها المسلمون بقيادة القائد العثماني الشاب ابن الثالثة والعشرين سنة ١٤٥٣م محمد الفاتح، وسماها المسلمون (إسلامبول) أو (إستانبول)، وصارت عاصمة الخلافة الإسلامية عدة قرون، فما يقال عن فتح (القسطنطينية) في ذلك يراد به استسلامها للقوى الإسلامية.

(٤) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٧).

QaradawiBooks.com

«**تغْزُون جزيرةَ العرب، فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**»[١].

كثرة الروم:

وقد روى مسلم بسنده أن المستورِد القرشي قال عند عمرو بن العاص: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**». فقال له عمرو: أبصِرْ ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلتَ ذلك، إن فيهم لخصالًا أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كَرَّة بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[٢].

ورواه بسند آخر: أن المستورِد القرشي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**». قال: فبلغ ذلك عمرو بن العاص، فقال: ما هذه الأحاديث التي تُذكَر عنك أنك تقولها عن رسول الله ﷺ؟ فقال له المستورد: قلتُ الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ. قال: فقال عمرو: لئن قلتَ ذلك؛ إنهم لأَحْلَمُ الناس عند فتنة، وأصبر[٣] الناس عند مصيبة، وخير الناس لمساكينهم وضعفائهم[٤].

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠٠)، وأحمد (١٨٩٧٣).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٨) (٣٥).

(٣) في بعض نسخ البداية والنهاية: أخبر. وفي صحيح مسلم: أجبر. وقال النووي: هكذا في معظم الأصول: (وأجبر) بالجيم، وكذا نقله القاضي عن رواية الجمهور، وفي رواية بعضهم: (وأصبر) بالصاد. قال القاضي: والأول أولى لمطابقة الرواية الأخرى: (وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة). وهذا بمعنى (أجبر). وفي بعض النسخ: (أخبر) بالخاء المعجمة، ولعل معناه: أخبرهم بعلاجها والخروج منها. صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/٢٣، ٢٤).

(٤) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٨) (٣٦).

QaradawiBooks.com

وقد قال ابن كثير: وهذا يدل على أن الروم يُسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم[١].

لكن الذي أثبته الواقع التاريخي: أن القسطنطينية فُتِحت بالفعل، وأن الذين افتتحوها ليسوا هم الروم، ولكن الأتراك العثمانيون، كما ذكرنا من قبل، وسمَّوْها (إستانبول).

* * *

(١) البداية والنهاية (١٠٦/١٩)، نشر دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

٣
المهدي المنتظر

ومن الأشـــراط الصغرى للســـاعة التي ذكرها العلماء، وإن كانوا لم يُجمعوا عليها، بل اختلفوا فيها بين مثبتٍ ونافٍ، والمثبتون أيضًا اختلفوا في تفصيلات كثيرة، بناء على الأحاديث وثبوتها لديهم، وهي: ظهور هذا الإمام العادل من آل بيت رســـول الله ﷺ، الذي يملأ الأرض عدلًا كما مُلِئَت جورًا، والذي يلقبونه بالمهدي، أو المهدي المنتظر.

الشيخ ابن محمود يرفض أحاديث المهدي المنتظر في احتفال العلماء بمقدم القرن الخامس عشر الهجري:

وممَّـــن أنكر أحاديث المهـــدي في عصرنا: الشـــيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس قضاة قطر، وقد أعلن ذلك وقرره في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر السنة والســـيرة العالمي الثالث الذي عقد بالدوحة عاصمة قطر، وافتتحه ولي عهد قطر نائبًا عن الأمير، وحضره نحو ثلاثمائة عالم من أنحاء العالم، بداية لاحتفالات الأمة الإســـلامية بقـــدوم القرن الخامس عشر الهجري، حيث فاجأ الجميع بكلمته الافتتاحية، والتي كان عنوانها: (لا مهدي منتظر بعد محمد خير البشر).

وقد استمعتُ كما استمع غيري من المشاركين والضيوف، إلى كلمة العلامة الفقيه الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية

QaradawiBooks.com

في قطر. وأقول الحق: إنها صادفت هوًى في نفسي، فقد كنتُ أجد في نفسي قلقًا من ناحية «عقيدة المهدي المنتظر» التي أضيفت عند المتأخرين من علماء العقائد من أهل السنة إلى جملة العقائد التي يجب أن يؤمن بها المسلم.

وكان الذي دعا الشيخ إلى طرح هذا الموضوع على المؤتمر: أن الحرم المكي كان «مخطوفًا» في ذلك الوقت! اختطفه واحتلَّه مجموعة من أقحاح السلفيين في المملكة السعودية «جهيمان وجماعته»، بناء على أحاديث تناقلوها، ورؤى رأَوْها عن ظهور المهدي، وأنه يُبايع بين الركن والمقام، وأن ذلك سيتم في أوائل قرن، وهم الآن في بداية القرن، وقد وجدوا من سلالة آل البيت من اسمه محمد، واسم أبيه عبد الله، فبايعوه، ودَعَوُا الناس إلى بيعته! وأدَّت هذه الفتنة إلى أن أُغلقت كل أبواب المسجد الحرام، فلا يستطيع أحد أن يخرج منه، ولا أن يدخل فيه، وظل مغلقًا نحو شهر، حتى تدخلت الحكومة بقواتها العسكرية، وانتهى هذا الاحتلال الغريب، واعتَقَلت فيه مَن اعتقلت، وحاكمت مَن حاكمت، فكان هذا الحادث الخطير الهائل دافعًا للشيخ ابن محمود لإعداد هذه الكلمة وإلقائها في المؤتمر، على مرأى ومسمع من المشاركين فيه من أنحاء العالم.

كلام الشيخ ابن محمود عن أحاديث المهدي في السنة:

وكان مما قاله الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلمته: «نحن في كلامنا على السُّنَّة، إنما نتكلم على الأحاديث الصحيحة الصريحة، التي قام جهابذة النقاد العلماء على تمحيصها وتصحيحها، حتى جعلوها عمدة في العقائد والأحكام، وأمور الحلال والحرام.

QaradawiBooks.com

وإلا فإنه من المعلـــوم أن الوضَّاعين الكذَّابين قـــد أدخلوا كثيرًا من الأحاديث المكذوبة في عقائد المسلمين وأحكامهم، حتى صار لها الأثر الســـيئ في العقائد والأعمال، لكن المحقِّقين من علماء المســـلمين قد قاموا بتحقيقها، وبيَّنوا بطلانها، وأسقطوها عن درجة الاعتبار، وحذَّروا الأمة منها.

من ذلك: أحاديث المهدي المنتظر، وأنه يملأ الأرض عدلًا، كما مُلِئَت جَوْرًا. ونحو ذلك مما يقولون.

وصار في كل زمان وفي كل مكان يظهـــر مخرِّف يقول: أنا المهدي المنتظر. حتى كأن المهديَّ جرثومة البِدَع، ومثار الفتن، ولا يزال علماء الســـنة في كل مكان يحاربون هذه الدعوى، ويحاربون من تسمَّى بها؛ لاعتباره من الكذَّابين الدجَّالين، والحق: أن المهدي المنتظر لا صحة له، ولا وجود له قطعًا.

وفي سنن ابن ماجه: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**»[1].

وإنه بمقتضـــى التأمل للأحاديث الواردة فـــي المهدي، نجدها من الضعاف التي لا يُعتمد عليها، وأكثرها مـــن رواية أبي نعيم في (حلية الأولياء)، وكلها متعارضة ومتخالفة، ليســـت بصحيحة، ولا صريحة، ولا متواترة، لا باللفظ، ولا بالمعنى.

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٣٩)، عن أنس. وقال الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن خالد الجنـــدي (٥٣٥/٣): خبر منكر. قال الشـــوكاني فـــي الفوائد المجموعـــة (١٢٧): قال الصنعاني: موضوع. وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٨٧٥).

QaradawiBooks.com

ابن محمود ينقل عن شيخه المانع تشكيكه في أحاديث المهدي:

ولست أنا أول من قال ببطلان دعوى المهدي، وكونها لا حقيقة لها، فقد سبقني من قال بذلك من العلماء المحقِّقين، فقد رأيت لأستاذنا الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع رسالة حقَّق فيها بطلان دعوى المهدي، وأنه لا حقيقة لوجوده، وكل الأحاديث الواردة فيه ضعيفة جدًّا، فلا يُنكَر على مَن أنكره.

رأي صاحب المنار:

كما رأيت أيضًا لمنشئ المنار محمد رشيد رضا، رسالة ممتعة يحقق فيها بطلان دعوى المهدي، وأن كل الأحاديث الواردة فيه لا صحة لها قطعًا، وأشار إلى بطلان دعواه في تفسير المنار[١] انتهى»[٢].

وقد نقل الشيخ نص الفتوى بعد ذلك، وتقوَّى بها ضد معارضيه، وفيها يقول صاحب المنار: «وردت أحاديث في المهدي، منها ما حكموا بقوة إسناده، ولكن ابن خلدون عُنِي بإعلالها وتضعيفها كلها.

النظر فيما ورد في المهدي وآثاره في الأمة:

ومن استقصى ما ورد في المهدي المنتظر من الأخبار والآثار، وعرف مواردها ومصادرها، يرى أنها كلها منقولة عن الشيعة، وذلك أنه لما استبدَّ بنو أمية بأمر المسلمين، وظلموا وجاروا، وخرجوا بالحكومة الإسلامية عن وضعها الذي يهدي إليه القرآنُ، وعليه استقام الخلفاء

(١) انظر: تفسير المنار (٤١٦/٩) وما بعدها، وفتاوى محمد رشيد رضا (١٠٦/١) وما بعدها، تحقيق صلاح الدين المنجد ويوسف ق. خوري، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) انظر: لا مهدي منتظر بعد الرسول محمد خير البشر صـ ٧٠، ٧١، نشر مطابع قطر الوطنية، الدوحة.

QaradawiBooks.com

الراشـــدون، وهو المشـــاورة في الأمر، وفصل الأمور بـــرأي أهل الحل والعقـــد من الأمة، حتـــى قال على المنبـــر من يُعَد مِـــن خيارهم، وهو عبد الملك بن مروان: من قال لي اتقِ الله ضربتُ عنقَه.

لمَّا كان هذا، كان أشد الناس تألُّمًا له وغيرة على المسلمين: آل النبي عليه وعليهم السلام، فكانوا يرون أنهم أولى بالأمر، وأحق بإقامة العدل، فكان من تشيَّع لهم يؤلفون لهم عصبية دينية، يقنِّعونها بأن سيقوم منهم قائم مبشَّر به، يقوم بالعدل، ويؤيِّد الدين، ويزيل ما أحدث بنو مروان من الاستبداد والظلم، وعن هذا الاعتقاد صدرت تلك الروايات. والناظر في مجموعها يظهر له أنهم ينتظرون ذلـــك في القرن الثاني، ثم في الثالث، وكانوا يعيِّنون أشخاصًا من خيار آل البيت، يرجِّحون أن يكون كل منهم القائم المنتظر، فلم يكن. وكان بعضهم يسأل من يعتقد أنه صاحب هذا الأمر، فيجيبه ذلك بأجوبـــة مبهمة، ومنهم مَـــن كان يتنصَّل ويقول: إن الموعد ما جاء، ولكنه اقترب. ومنهم مَن كان يضرب له أجلًا محدودًا، ولكن مرَّت السنون والقرون، ولم يكن ما توقَّعوا أن سيكون.

وقد جرَّت هذه العقيدة على المســـلمين شـــقاءً طويـــلًا، إذ قام فيهم كثيرون بهذه الدعوى، وخرجوا على الحكام، فسُفِكت بذلك دماء غزيرة، وكان شـــرُّ فِتَنِها: فتنةَ البابية الذين أفســـدوا عقائد كثير من المســـلمين، وأخرجوهم من الإســـلام، ووضعوا لهم دينًا جديدًا. وفي الشيعة ظهرت هذه الفتنة، وبهم قامت، ثم تعدَّى شـــرُّها إلى غيرهم، ولا يزال الباقون منهم ومن سائر المســـلمين ينتظرون ظهورَ المهدي، ونصْرَ الإسلام به، فهم مستعدُّون بهذا الاعتقاد لفتنة أخرى، نسأل الله أن يقيهم شرَّها»[1].

(١) انظر: مجلة المنار (١٣٨/٧).

QaradawiBooks.com

ما انتهى إليه ابن محمود:

وفي النهاية قرر الشـيخ ابن محمود: أن أساس دعوى المهدي مبني على أحاديث محقَّق ضعفُها، وكونها لا صحة لها، ولم يأت حديث منها في البخاري ومسـلم، مع رواج فكرتها في زمنهما، وما ذلك إلا لعدم صحة أحاديثه عندهما. مع العلم أنها ـ على فرض صحتها ـ لا تعلُّق لها بعقيدةِ الدين، وما هي إلا حكايات عن أحداث تكون في آخر الزمان أو في أوله، يقوم بها فلان أو فلان، بدون ذكر المهدي.

«فليس المهدي من العقائـد الدينية كما زعم دعاتهـا والمتعصِّبون لصحتها، وقد ثبت بطريق الواقع المحسوس أن فكرة المهدي أصبحت فتنةً لكلِّ مفتون، تنتقل من جيل إلـى جيل، ومن زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، وتُـراق من أجلها الدمـاء الزكية البريئة، في الشـهر الحرام، والبلد الحرام، والمسجد الحرام، مما أزعج المسلمين كافَّة في مشارق الأرض ومغاربها.

والحاصل أنه يجب طرح فكرة المهدي، وعدم اعتقاد صحته، وعندنا كتاب الله نستغني به عنه، وعن كل بدعة، واتِّباع كل مبتدع مفتون، وهو الملجـأ الذي أوصانا رسـول الله اللواذ بـه عند الفتن، كما لدينا سـنة رسول الله الصحيحة الصريحة، سواء كانت متواترة، أو من رواية الآحاد غير المتعارضة ولا المختلفة»[1].

الألباني يلتقي ابن محمود ويتناقشان:

ولقد شـهدتُ بعد ذلك جلسـةً في بيت الشـيخ ابـن محمود مع المُحدِّث المعروف الشيخ ناصر الدين الألباني، وحضرها الشيخ محمد

(١) انظر: لا مهدي منتظر صـ ٤٨.

QaradawiBooks.com

الغزالي والشيخ عبد الله الأنصاري بطلب من الألباني، ليُقنع ابن محمود بصحة الأحاديث الواردة في شـأن المهدي، أو بعضها، وكانت مساجلة بين الشيخين: الشيخ الفقيه والشيخ المحدِّث، وانتهت الجلسة بأن بقي كلٌّ منهما متمسِّكًا برأيه.

رأيي في قضية المهدي:

وقد كنتُ أرى أن القضية أخذت في التفكير الإسلامي مساحة كبيرة، أكبر مما تستحقه، وهنا أرى أن هذه القضية لا ينبغي أن تدخل في إطار (العقائد) التي يجب أن تُعَلَّم للناس، ويُدعَوْن إلى الإيمان بها، ويحذَّرُون من الشـك فيها، وقد يكفَّرون أو يفسَّـقون إذا جحدوهـا أو عارضوها بشبهات قامت لديهم.

وإنما ينبغي أن تعرض في إطار (الأخبار) المنقولة بطريق الآحاد[1]، ويبحث في طرق الأخبار وأسـانيدها، هل هي صحيحـة، نقلَها الثقاتُ الموصوفـون بالعدالة وتمام الضبـط، من أول كل السـند إلى منتهاه، والذين لم يختلف فيهم أهل الجرح والتعديل، أو هي دون ذلك؟

حقائق لا بد منها لبحث قضية المهدي في ضوئها:

وإذا نظرنا إلى الأمر في هذا الإطار نجد المجال ذا سَعَة للبحث والقول والرد، في ضوء الحقائق الآتية، وهي مجمع عليها:

(١) هناك من وضعها ضمن الأحاديـث المتواترة، مثل الكتاني في نظـم المتناثر في الحديث المتواتر (٢٨٩)، تحقيق شرف حجازي، نشر دار الكتب السلفية، مصر.
وهذا موضوع يمكن المنازعة فيه، إذ لا اتفاق على تعريـف للحديث المتواتر، ولا مقدار التواتر، فهناك من ضيَّقوا فيه جدًّا، وآخرون توسَّعوا فيه كثيرًا، حتى وَسِع كثيرًا من الأحاديث الضعيفة، التي لم تبلغ مرتبة الصحة أو الحُسن المحتج به!!

QaradawiBooks.com

أولًا: هذا الموضوع لم يذكره القرآن، لا بصريح العبارة، ولا بطريق الإشارة. وهذا مجمع عليه.

ثانيًا: هذا الموضوع لم يذكره الشيخان ولا أحدهما في صحيحيهما اللذين تلقاهما المسلمون بالقبول في الجملة، ومعنى هذا: أنهما لم يصحَّ عندهما حديثٌ واحد في هذا الباب.

قد يقال: إنهما لم يستوعبا كل الصحيح! والجواب: أنهما حرصا على ألا يدعا بابًا من أبواب العلم، دون أن يذكرا فيه ولو حديثًا واحدًا. فكيف بموضوع كبير مثل هذا، له خطره وأثره، وقد كان مُثارًا وقتهما، وفيه خلاف معروف؟!

ثالثًا: لم يكن هذا الموضوع من موضوعات العقيدة التي كان يطلب الإيمان بمفرداتها، بل القرآن طلب الإيمان بأمور خمسة، كما جاء في آية (ليس البر)، إذ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وأضافت السُّنة أمرًا سادسًا، وهو الإيمان بالقدر، وهو لا شك جزء من الإيمان بالله تعالى، فقد فصَّلت السنة بعض ما أجمله القرآن.

رابعًا: جاء ذكر (المهدي) في السنن والمسانيد والأجزاء بأسانيد شتى، قلما يوجد فيها حديث صريح الدلالة، بلغ رتبة الصحيح المتفق عليه، السالم من الشذوذ والعلة، بل أكثر من صحَّحوا متونها، تغاضَوْا عن بعض ما في أسانيدها من كلام، أو صحَّحوها بكثرة الشواهد والطرق، التي تنوَّعت وتعدَّدت مخارجها، وأصبحت بمجموعها تعطي عالمَ الحديث اقتناعًا بثبوت أصل الحديث.

QaradawiBooks.com

خامسًا: إنهم اختلفوا في حقيقته: أهو من نسل الحسن أم من نسل الحسين؟ وهل هو موجود فعلًا، ولكن لم يؤذن له في الخروج والظهور، أم هو لم يُخلق بعد، وسيخلقه الله في آخر الزمان؟

فاعتقاد الشيعة أنه موجود فعلًا، وأنه محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى منذ سنة ٢٦٦هـ، ولا يزال مختفيًا إلى اليوم!! مما يعني أن عمره قارب ألفًا ومائتين من السنين، وهو ما لم يُعهد، وقد زاد عن عمر نوح كثيرًا!!

سادسًا: إن فكرة المهدي كانت سببًا في دعوى كثيرين في أقطار شتى، وفي أعصار شتى: أن كلًّا منهم هو (المهدي المنتظر). وقد أدَّى ذلك إلى فتن وقلاقل، ثم تمخض الأمر عن الحقيقة، وهي أنها مجرد (أوهام) في رؤوس بعض الناس، وربما كان فيهم مخلصون، ولكن خُيِّل إليهم أنهم المقصودون، فثاروا وقاتلوا، ولم يملؤوا الأرض عدلًا، بل ملؤوها فوضى.

ولقد رأيت بعيني رجلًا زارني في بيتي، يزعم أنه هو (المهدي)، وهو ليس من أهل العلم، ولا من أهل الفكر، وهو أقرب إلى العوام، ويتعامل مع الجن، ولقد قلتُ له: كيف تكون المهدي، وليس اسمك (محمدًا)، ولا اسم أبيك (عبد الله) كما جاءت بذلك الأحاديث؟!

فكان جوابه: إن الله ألهم أهلي أن يسمُّوني بذلك، ليخفوا أمري عن الأعداء، حتى لا يفتكوا بي، وتضيع مهمتي!

موقف العلماء من قضية المهدي:

وقد عرض كثير من كبار علماء أهل السنة لموضوع (المهدي) وما ورد فيه من أحاديث، فقبلوا بعضها، وردُّوا بعضها، ورجَّحوا على أساس

QaradawiBooks.com

ما قبلوه من الأحاديث: فكرة ظهور المهدي، وإن لم يكفِّروا مَن أنكرها، كما رُوي في بعض الأحاديث: «**من كذَّب بالمهدي فقد كفر**»[١]. فقد رَوَوا هذا الحديث كما رووا حديث: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**»[٢]. وأنه لم يمنع وجود أو ظهور مهديِّين قبله، يمهِّدُون له.

ابن تيمية وابن القيم يصحِّحان أحاديث المهدي:

ومن الأئمة الذين صحَّحوا أحاديث المهدي وقبلوها: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيم رحمهما الله. وإن كان لهما كلام ينبغي أن يُنظر ويُتأمَّل فيمن هو المهدي حقيقة.

رأي ابن تيمية:

يذكر ابن تيمية في كتابه الشهير (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية) الذي ردَّ فيه على كتاب (منهاج الكرامة) لابن مطهَّر الحِلِّي الشيعي الإمامي: أن الأحاديث التي يُحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره.

كقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل منِّي، أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئتْ جورًا وظلمًا**»[٣].

---

(١) رواه السهيلي في الروض الأنف (٢٧٩/٢)، واستغرب إسناده، وحكم ابن حجر في اللسان بوضعه (١٣٠/٥)، وقال الألباني في الضعيفة (١٠٨٢): باطل.

(٢) سبق تخريجه صـ ٧٧.

(٣) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٨٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٣٠)، وقال: حسن صحيح.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأيضًا فيه: «**المهديُّ من عِترتي من ولد فاطمة**»[١]. ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد، وفيه: «يملك الأرض سبع سنين»[٢].

ورواه عن علي ﷺ: أنه نظر إلى الحسن وقال: إن ابني هذا سيد، كما سمَّاه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يسمَّى باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق، يملأ الأرض قسطًا[٣].

موقف الناس من هذه الأحاديث:

قال ابن تيمية: وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف: طائفة أنكروها، واحتجُّوا بحديث ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**»[٤]. وهذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه، وليس ممَّا يُعتمد عليه، ورواه ابن ماجه عن يونس، عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن، يُقال له: محمد بن خالد الجَنَدِيُّ، وهو ممَّن لا يُحتجُّ به. وليس هذا في مسند الشافعي، وقد قيل: إن الشافعي لم يسمعه من الجَنَدي، وأن يونس لم يسمعه من الشافعي.

---

(١) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٨٤)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٨٦) مختصرًا بلفظ: «المهدي من ولد فاطمة». وقال البخاري في التاريخ الكبير (٩٩٤): في إسناده نظر. وقال العقيلي في الضعفاء (٧٥/٢): الصحيح قول سعيد بن المسيب، وأما مسند فلا. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١٦٨٠).

(٢) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٨٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٣٦).

(٣) رواه أبو داود في المهدي (٤٢٩٠)، عن أبي إسحاق، وذكر المنذري أنه منقطع؛ لأن في إسناده أبا إسحاق السبيعي، رأى عليًّا ﷺ، رؤية، ولم تثبت له رواية عنه. وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٢٤).

(٤) سبق تخريجه صـ ٧٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

مهدي الإمامية الاثني عشرية:

الثاني: أن الاثني عشرية الذين ادَّعوا أن هذا هو مهديُّهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن. والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي ﷺ: اسمه محمد بن عبد الله. ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول، حتى لا يُناقض ما كذبت. وطائفة حرَّفته فقالت: جدُّه الحسين، وكنيته أبو عبد الله، فمعناه محمد بن أبي عبد الله، وجعلت الكنية اسمًا.

وممَّن سلك هذا ابن طلحة[1] في كتابه الذي سماه (غاية السُّول في مناقب الرسول)[2]، ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح، وكذب على رسول الله ﷺ. فهل يفهم أحد من قوله: «**يواطئ اسمه اسمي، واسم ابيه اسم أبي**». إلا أن اسم أبيه عبد الله؟ وهل يدل هذا اللفظ على أن جده كنيته أبو عبد الله؟

---

(١) العلامة الأوحد كمال الدين محمد بن طلحة القرشي العدوي النصيبي الشافعي، ولد (٥٨٢هـ)، وبرع في المذهب وأصوله، وشارك في فنون، ولكنه دخل في هذيان علم الحروف، وتزهد. وترسَّل عن الملوك، وولي وزارة دمشق يومين وتركها، وكان ذا جلالة وحشمة. قال ابن عساكر: في (٦٤٨هـ) كتب الناصر تقليده بالوزارة، فكتب يعتذر للسلطان، وخرج عن جميع ما له من موجود ومماليك ودواب وملبوس، ولبس ثوبًا قطنيًّا وتخفيفة، وكان يسكن بالأمينية، فخرج منها واختفى. وتوفي بحلب، في رجب (٦٥٢هـ). سير أعلام النبلاء (٢٩٣/٢٣ ـ ٢٩٤)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) قال: شائع في لسان العرب إطلاق الأب على الجد الأعلى، وأن لفظة الاسم تطلق على الكنية والصفة. فإذا وضح هذا، فاعلم أن النبي ﷺ كان له سبطان: أبو محمد الحسن، وأبو عبد الله الحسين. فأطلق النبي على الكنية لفظ الاسم لأجل المقابلة بالاسم في حق أبيه، وأطلق على الجد لفظة الأب. فكأنه قال: يواطئ اسمه اسمي فهو محمد وأنا محمد، وكنية جده الحسين أبو عبد الله اسم أبي عبد الله. لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي صـ ٣١٨، ٣١٩، باختصار، نشر مؤسسة البلاغ، بيروت.

QaradawiBooks.com

وأيضًا فإن المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي، لا من ولد الحسين، كما تقدَّم لفظ حديث عليٍّ.

مهدي القرامطة الباطنية:

الثالث: أن طوائف ادَّعى كل منهم أنه المهدي المبشَّر به، مثل مهدي القرامطة الباطنية، الذي أقام دعوتهم بالمغرب، وهو من ولد ميمون القدَّاح، وادعَوْا أن ميمونًا هذا هو من ولد محمد بن إسماعيل، وإلى ذلك انتسب الإسماعيلية، وهم ملاحدة في الباطن، خارجون عن جميع الملل، أكفر من الغالية كالنُّصيرية، ومذهبهم مركَّب من مذهب المجوس والصابئة والفلاسفة، مع إظهار التشيُّع، وجدهم رجل يهودي كان ربيبًا لرجل مجوسي، وقد كانت لهم دولة وأتباع.

وقد صنَّف العلماء كتبًا في كشف أسرارهم، وهتك أستارهم، مثل كتاب القاضي أبي بكر الباقلَّاني، والقاضي عبد الجبار الهمذاني، وكتاب الغزالي، ونحوهم.

مهدي المغاربة ابن تومرت:

وممَّن ادّعى أنه المهدي: ابن التومرت، الذي خرج أيضًا بالمغرب، وسمَّى أصحابه (الموحِّدين). وكان يقال له في خطبهم: (الإمام المعصوم) و(المهدي المعلوم)، الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما مُلئت جورًا وظلمًا. وهذا ادَّعى أنه من ولد الحسن دون الحسين؛ فإنه لم يكن رافضيًّا، وكان له من الخبرة بالحديث ما ادَّعى به دعوى تطابق الحديث. وقد عُلم بالاضطرار أنه ليس هو الذي ذكره النبي ﷺ.

ومثل عدة آخرين ادَّعوا ذلك، منهم من قُتِل.

QaradawiBooks.com

ومنهم مَن ادَّعى ذلك فيه أصحابه، وهؤلاء كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله، وربما حصل بأحدهم نفعٌ لقوم، وإن حصل به ضرر لآخرين، كما حصل بمهدي المغرب: انتفع به طوائف، وتضرَّر به طوائف، وكان فيه ما يُحمد، وإن كان فيه ما يُذَمُّ.

وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهديِّ الرافضة، الذي ليس له عين ولا أثر، ولا يُعرف له حِسٌّ ولا خبر، لم ينتفع به أحد: لا في الدنيا، ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يُحصيه إلا ربُّ العباد.

مدَّعون للمهدية في زمن ابن تيمية:

قال ابن تيمية: «وأعرف في زماننا غير واحد من المشايخ، الذين فيهم زهد وعبادة، يظن كلٌّ منهم أنه المهدي، وربما يخاطَب أحدهم بذلك مرات متعددة، ويكون المخاطِب له بذلك الشيطان، وهو يظن أنه خطاب من قِبَل الله. ويكون أحدهم اسمه أحمد بن إبراهيم، فيقال له: محمد وأحمد سواء، وإبراهيم الخليل هو جد رسول الله النبي ﷺ، وأبوك إبراهيم، فقد واطأ اسمُك اسمَه، واسم ابيكَ اسمَ أبيه.

ومع هذا فهؤلاء مع ما وقع لهم من الجهل والغلط، كانوا خيرًا من منتظر الرافضة، ويحصل بهم من النفع ما لا يحصل بمنتظَر الرافضة، ولم يحصل بهم من الضرر ما حصل بمنتظَر الرافضة، بل ما حصل بمنتظَر الرافضة من الضرر أكثر منه»[1] اهـ.

(١) انظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٨/٢٥٤ ـ ٢٦٠)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

رأي ابن القيم:

ورأي ابن القيم نحو رأي شيخه ابن تيمية، فقد سُئِل في كتابه (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) عن حديث: «**لا مهدي إلا عيسى ابن مريم**». وكيف يأتلف هذا مع أحاديث المهدي وخروجه؟ وهل في المهدي حديث أم لا؟ فضعَّف الحديث المذكور كما ضعَّفه شيخه، قال: وقد تواترت الأحاديث واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأنَّ عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجَّال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه.

وقد ذكر ابن القيم حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث رجلًا مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا**»[1]. رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح. قال: وفي الباب عن عليٍّ، وأبي سعيد وأم سلمة، وأبي هريرة. ثم روى حديث أبي هريرة، وقال: حسن صحيح.

وذكر ابن القيم حديث أبي داود، عن علي رضي الله عنه: أنه نظر إلى ابنه الحسن، فقال: إن ابني هذا سيد كما سمَّاه النبي ﷺ، وسيخرج من صلبه رجل يُسمَّى باسم نبيِّكم، يشبهه في الخُلُق، ولا يشبهه في الخَلْق، يملأ الأرض عدلًا[2].

(١) سبق تخريجه صـ ٨٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ٨٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وذكر ابن القيم عددًا من الأحاديث، ثم قال: «وهذه الأحاديث أربعة أقسام: صحاح وحسان وغرائب وموضوعة. وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسيح ابن مريم، وهو المهدي على الحقيقة». وذكر الحديث الذي استندوا إليه، وهو لا يصح.

قال: «ولو صحَّ لم يكن فيه حجَّة؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله وبين الساعة، فيصح أن يقال: لا مهدي في الحقيقة سواه، وإن كان غيره مهديًّا.

الثاني: أنه المهدي الذي ولي من بني العباس، وقد انتهى زمانه. واحتج من قال ذلك ببعض الأحاديث التي لم تثبت صحتها. قال: ولو صحَّت لم يكن فيها دليل على أن هذا هو الذي يخرج في آخر الزمان؛ بل هو مهدي من جملة المهديِّين، وعمر بن عبد العزيز كان مهديًّا، بل هو أولى باسم المهدي منه.

الثالث: أنه رجل من آل بيت النبي ﷺ، من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظُلمًا، فيملؤها قسطًا وعدلًا. وأكثر الأحاديث على هذا تدُلُّ.

وفي كونه من ولد الحسن سرٌّ لطيف، وهو أنَّ الحسن رضي الله تعالى عنه ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق، المتضمِّنة للعدل، الذي يملأ الأرض.

وهذه سنة الله في عباده: أنه من ترك لأجله شيئًا أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه، وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه، فإنه حرص عليها، وقاتل عليها، فلم يظفر بها، والله أعلم.

غير مرخصة للطباعة

وقد روى أبو نُعَيم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج رجل من أهل بيتي، يعمل بسنَّتي، وينزل الله له البركة من السماء، وتُخْرِج له الأرض بركتها، ويملأ الأرض عدلًا، كما مُلئت ظلمًا، ويعمل على هذه الأمة سبع سنين، وينزل بيت المقدس**»[(١)].

وروى أيضًا من حديث أبي أمامة قال: خطبنا رسولُ الله ﷺ، وذكر الدجَّال وقال: «**فتنفي المدينةُ الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، ويُدعى ذلك اليوم يومَ الخلاص**». فقالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ فقال: «**هم يومئذ قليل، وجلُّهم ببيت المقدس، وإمامهم المهدي رجل صالح**»[(٢)].

وروى أيضًا من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تهلِك أمة أنا في أولها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها**»[(٣)].

وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة، فهي مما يقوِّي بعضُها بعضًا، ويشد بعضها ببعض. فهذه أقوال أهل السنة.

وأما الرافضة الإمامية: فلهم قول رابع: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر، من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٧٥)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٠٦٣/٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧٥): رواه الترمذي وابن ماجه باختصار، ورواه الطبراني في الأوسط، وفيه من لم أعرفهم.

(٢) جزء من حديث طويل رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٧٧)، وقال ابن كثير في التفسير (٤٦١/٢): هذا حديث غريب جدًّا من هذا الوجه، ولبعضه شواهد من أحاديث أخر.

(٣) ذكره صاحب كنز العمال (٣٢٤/١٤)، عن ابن عباس، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٨٠): موضوع.

QaradawiBooks.com

الحاضر في الأمصار، الغائب عـن الأبصار، الذي يُورَّث العصا، ويختِمُ الفضا، دخل سرداب سامرَّاء طفلًا صغيرًا من أكثر من خمسمائة سنة (في عصر ابن القيم)، فلم تره بعد ذلك عيـن، ولم يُحَس فيه بخبر ولا أثر، وهم ينتظرونه كل يوم، يقفون بالخيل على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم: اخرج يا مولانا، اخرج يا مولانـا! ثم يرجعون بالخيبة والحرمان. فهذا دأبهم ودأبه.

ولقد أحسن من قال:

ما آنَ للسِّردابِ أَنْ يَلِدَ الَّذي كلَّمْتُمُوهُ بجهلِكُـم مَا آنَا؟!
فَعَلَى عقولِكُمُ العَفاءُ، فإنَّكُمْ ثَلَّثْتُمُ العَنْقَـاءَ والغِيـلَانا!

ولقد أصبحَ هؤلاء عارًا على بني آدم، وضُحْكة يسخر منها كل عاقل.

أما مهدي المغاربة: محمد بن تومرت، فإنه رجل كذَّاب ظالم متغلِّب بالباطل. ملك بالظلـم والتغلب والتحيُّل، فقتـل النفوس، وأباح حريم المسلمين، وسـبى ذراريَّهم، وأخذ أموالهم، وكان شـرًّا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير.

وكان يودِع بطن الأرض في القبور جماعة من أصحابه أحياء، يأمرهم أن يقولوا للناس: إنه المهدي الذي بشـر به النبـي ﷺ، ثم يردم عليهم ليلًا، لئلَّا يكذِّبوه بعد ذلك، وسمَّى أصحابه الجهمية: (الموحِّدين) نفاة صفات الرب وكلامه، وعلوه على خلقه، واسـتوائه على عرشه، ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة، واسـتباح قتل مـن خالفهم من أهل العلم والإيمان، وتَسَمَّى بالمهدي المعصوم.

ثم خرج المهدي الملحـد عبيد الله بن ميمون القـدَّاح، وكان جده يهوديًّا من بيت مجوسـي، فانتسـب بالكذب والزور إلـى أهل البيت،

QaradawiBooks.com

وادعى أنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، وملك وتغلَّب، واستفحل أمره، إلى أن استولت ذريته الملاحدة المنافقون، الذين كانوا أعظم الناس عداوة لله ولرسوله على بلاد المغرب ومصر والحجاز والشام، واشتدت غربة الإسلام ومحنته ومصيبته بهم، وكانوا يدعون الإلهية، ويدعون أن للشريعة باطنًا يخالف ظاهرها.

وهم ملوك القرامطة الباطنية أعداء الدين، فتستَّروا بالرفض والانتساب كذبًا إلى أهل البيت، ودانوا بدين أهل الإلحاد وروَّجوه، ولم يزل أمرُهم ظاهرًا، إلى أن أنقذ الله الأمة منهم، ونصر الإسلام بصلاح الدين يوسف بن أيُّوب، فاستنقذ الملة الإسلامية منهم، وأبادهم، وعادت مصر دار إسلام، بعد أن كانت دار نفاق وإلحاد في زمنهم.

والمقصود أن هؤلاء لهم مهدي، وأتباعَ ابن تومرت لهم مهدي، والرافضةَ الاثني عشرية لهم مهدي.

فكل هذه الفرق تدَّعي في مهديِّها الظلوم الغشوم، والمستحيل المعدوم: أنه الإمام المعصوم، والمهدي المعلوم، الذي بشر به النبي ﷺ، وأخبر بخروجه. وهي تنتظره كما تنتظر اليهود القائم الذي يخرج في آخر الزمان، فتعلو به كلمتهم، ويقوم به دينهم، ويُنْصَرُون به على جميع الأمم.

والنصارى تنتظر المسيح يأتي قبل يوم القيامة، فيقيم دين النصرانية، ويبطل سائر الأديان، وفي عقيدتهم: نزع المسيحُ الذي هو إله حق من إله حق، من جوهر أبيه الذي نزل طامينا. إلى أن قالوا: وهو مستعد للمجيء قبل يوم القيامة، فالملل الثلاث تنتظر إمامًا قائمًا، يقوم في آخر الزمان.

QaradawiBooks.com

ومنتظَر اليهود: الدجَّال، الذي يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفًا[١]، وفي المسند مرفوعًا: عن النبي ﷺ: «**أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء**»[٢].

والنصارى تنتظر المسيح عيسى ابن مريم، ولا ريب في نزوله، ولكن إذا نزل كسر الصليب، وقتل الخنزير، وأباد الملل كلَّها سوى ملة الإسلام»[٣].

ابن خلدون يكاد ينكر قضيةَ المهدي:

وممن تعرَّض لذلك حكيم المؤرِّخين ومؤسس علم الاجتماع: العلامة ابن خلدون، في (مقدمته) الشهيرة، فقد شُغِل بقضية (المهدي)، وملأ بها عددًا غير قليل من الصفحات، وأبدى رأيه فيها بصراحة، ونقد الأحاديث الواردة في الموضوع، من ناحية سندها ورجالها، نقدها نقدًا علميًّا، يدل على تضلُّعه في علم الحديث ورجاله. وهو من دلائل موسوعية الرجل، الذي استوعب العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، والعلوم العقلية والعلوم الاجتماعية، مثل التاريخ والسياسة والفلسفة والاجتماع، الذي يعتبر مؤسس علمه عند المنصفين من الباحثين مسلمين وغير مسلمين.

في أحد فصول المقدمة، تحت عنوان: (في أمر الفاطمي، وما يذهب إليه الناس في شأنه، وكشف الغطاء عن ذلك) كتب ابن خلدون يقول:

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤٤)، وأحمد (١٣٣٤٤)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٧٩٠٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٦٠/٩)، وضعفه الألباني في قصة المسيح الدجال صـ ٩٤، عن عثمان بن أبي العاص.

(٣) المنار المنيف في الصحيح والضعيف صـ ١٤٨ ـ ١٥٥، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

«اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإســلام على ممرِّ الأعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيِّد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويســتولي على الممالك الإسلامية، ويُسمَّى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيســى ينزل مِنْ بعده، فيقتل الدجال، أو ينزل معه، فيساعده على قتله، ويأتمُّ بالمهديِّ في صلاته، ويحتجُّون في الشأن بأحاديث خرَّجها الأئمة، وتكلَّم فيها المنكرون لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار.

وللمتصوِّفَــة المتأخِّرين في أمر هذا الفاطمــي طريقة أخرى، ونوع من الاستدلال؛ وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم.

ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشــأن، وما للمنكرين فيها من المطاعن، وما لهم في إنكارهم من المســتنَد، ثم نُتبِعه بذكر كلام المتصوفة ورأيهم؛ ليتبين لك الصحيح من ذلك إن شاء الله تعالى. فنقول:

إن جماعة من الأئمة خرَّجوا أحاديث المهدي، منهم الترمذي، وأبو داود، والبزاز، وابن ماجه، والحاكــم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، وأســندوها إلى جماعة من الصحابة، مثل: علي وابن عباس وابن عمر وطلحة وابن مســعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقُرَّة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جَزْء، بأسانيد ربما يعرض لها المنكرون كما نذكره.

إلا أن المعروف عند أهل الحديث أن الجــرح مقدَّم على التعديل، فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال الأســانيد بغفلة، أو بســوء حفظ، أو ضعف، أو سوء رأي، تطرَّق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها.

QaradawiBooks.com

ولا تقولنَّ: مثل ذلك ربما يتطرق إلى رجال الصحيحين! فإن الإجماع قد اتصل في الأمة على تلقِّيهما بالقبول والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفع. وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك، فقد تجد مجالًا للكلام في أسانيدها بما نُقِل عن أئمة الحديث في ذلك».

ثم ظل يسرد الأحاديث المروية في الموضوع حديثًا حديثًا، وينقدها على منهج المحدثين، أو قل: ينقـل نقد الناقدين لهـا، ويقرُّه ويؤيده، واستمر على ذلك نحو اثنتي عشرة صفحة.

ثم قال: «فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي ـ كما رأيت ـ لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه»[1] انتهى.

الشيخ شاكر يهاجم ابن خلدون بعنف:

وقد هاجم شـيخنا العلامة المحدِّث أحمد محمد شاكر في تخريجه لمسـند أحمد العلامةَ ابن خلدون بعنف بالغ، وقسا عليه قسوة لا تليق بمثله. وقال: إنـه قد قفا ما ليس له به علم، واقتحـم قُحُمًا لم يكن من رجالها، وغلبه ما شغله من السياسة وأمور الدولة، وخدمة ما كان يخدم من الملوك والأمراء. فأوهم أن شـأن المهدي عقيدة شيعية، أو أوهمته نفسه ذلك، فعقد في مقدمته المشهورة فصلًا طويلًا... تهافت فيه تهافتًا عجيبًا، وغلط فيه أغلاطًا واضحة!!

وأقول بكل تواضع: إن شـيخنا شـاكرًا جار على ابن خلدون، ولم يقدِّره حقَّ قدره، فالرجل لم يستخدم منطق العقل والفلسفة في موضوع

(١) مقدمة ابن خلدون صـ ٨٩٥ ـ ٩١٦، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نشر لجنة البيان العربي.

QaradawiBooks.com

كله قائم على النقل والرواية، بل استخدم منطق المحدِّثين ومنهجهم وأدواتهم في النقد، وكان وفيًّا لهذا المنطق أو هذا المنهج. حيث عرض الأحاديث المروية حديثًا حديثًا، ونقدها نقدًا علميًّا أمينًا، عن طريق تحليل الأسانيد، وفرز رواتها، ونقل ما قاله رجال الجرح والتعديل فيهم، مع الأخذ في الاعتبار قاعدة: أن الجرح مقدَّم على التعديل. فماذا يعاب على ابن خلدون في ذلك؟

أعتقد أنَّ منهجه في نقد أحاديث المهدي سليم، وإنِ اختلفنا معه في التطبيق والتنزيل على الأحاديث، كيف لا وابن خلدون لم يكن مشتغلًا بعلم الحديث فقط، بل هو من علماء الحديث الكبار؟ فقد أسند إليه السلطان الظاهر برقوق في محرم سنة ٧٩١ هـ تدريس الحديث بمدرسة (صرغتمش)، فقرر ابن خلدون تدريس (موطأ الإمام مالك)، وهو ما يدل على رسوخ قدمه في علوم الحديث، وقد ذكر أول مجلس له في درس الموطأ في كتابه (التعريف) في أكثر من خمس عشرة صفحة، يقول: «وانفضَّ ذلك المجلس، وقد لاحظتني بالتجِلَّة والوقارِ العيونُ، واستشعرتْ أهليتي للمناصب القلوبُ، وأخلص النجيَّ في ذلك الخاصة والجمهور»[(١)].

على أن الرجل قال في نهاية بحثه في أسانيد أحاديث المهدي: فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي، وخروجه آخر الزمان، وهي ـ كما رأيت ـ لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه[(٢)]. فقد اعترف بأن شيئًا منها خلص من النقد، وإن كان قليلاً، أو أقل من القليل.

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا صـ ٣٢٣ ـ ٣٤١، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩م، وتاريخ ابن خلدون (٦٨٩/٧).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون صـ ٩١٥.

QaradawiBooks.com

إنَّ هذا البحث دلَّ على موسـوعية ابن خلدون، كما تدل على ذلك مقدمته كلها، فلم يكن قليل البضاعة فـي علم الحديث، بل كان ضليعًا فيه، كما كان متمكِّنًا من عامة العلوم الشرعية، تمكُّنه من العلوم اللغوية والأدبية والعقلية والاجتماعية.

رأي العلامة رشيد رضا في أحاديث المهدي:

وللشيخ العلامة السيد محمد رشيد رضا رأي في أحاديث المهدي، فبعد أن تحدث عن الإشكالات والاختلافات والتعارضات في أحاديث الدجال وأفاض فيها، قال: «وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر؛ والجمع بين الروايات فيه أعسـر، والمنكرون لها أكثر، والشبهة فيها أظهر؛ ولذلك لم يعتدَّ الشيخان بشيء من رواياتها في صحيحيهما. وقد كانت أكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الإسلامية؛ إذ تصدى كثير من محبِّي المُلك والسـلطان، ومن أدعياء الولاية وأولياء الشيطان، لدعوى المهدوية في الشرق والغرب، وتأييد دعواهم بالقتال والحرب، وبالبدع والإفساد في الأرض، حتى خرج ألوف الألوف عن هداية السُّنَّة النبوية، ومرق بعضهم من الإسلام كما يمرق السهم من الرمِيَّة.

وقد كان من حـق تصديق الجماهير مـن المتأخرين بخروج مهدي يجدد الإسلام وينشر العدل في جميع الأنام: أن يحملهم على الاستعداد لظهوره بتأليف عصبة قوية تنهض بزعامته، وتسـاعده على إقامة أركان إمامته، ولكنهم لـم يفعلوا، بل تركوا ما يجـب لحماية البيضة، وحفظ سـلطان الملة بجمع كلمة الأمة، وبإعداد ما اسـتطاعوا من حول وقوة، فاتَّكلوا وتواكلوا، وتنازعوا وتخاذلوا، ولم يعظهم ما نُزِع من ملكهم، وما سُـلِب من مجدهم، اتكالًا على قرب المهدي، كأنه هو المعيد المُبْدئ،

QaradawiBooks.com

فهو الذي سيرد إليهم مُلْكَهم، ويجدِّد لهم مجدهم، ويعيد لهم عدلَ شرعهم، وينتقم لهم من أعدائهم، ولكنه يفعل ذلك بالكرامات، وما يُؤيَّد به من خوارق العادات، لا بالبواريد أو البندقيات الصارخات، ولا بالمدافع الصاخَّات، ولا بالدبابات المدمِّرات، ولا بأساطيل البحار السابحات والغواصات، ولا أساطيل المناطيد والطيارات، ولا بالغازات الخانقات. وقد كانت الحرب بين خاتم النبيين والمشركين سجالًا، وكان المؤمنون ينفرون معه خفافًا وثقالًا، فهل يكون المهدي أهدى منه أعمالًا، وأحسن حالًا ومآلًا؟! كلَّا.

وقد جاءهم النذير، ابنُ خلدون الشهير، فصاح فيهم: إن لله تعالى سُننًا في الأمم والدول والعمران، مطَّردة في كل زمان ومكان، كما ثبت في مصحف القرآن، وصحف الأكوان، ومنها أن الدول لا تقوم إلا بعصبيَّة، وأن الأعاجم قد سلبوا العصبيَّة من قريش والعِتْرة النبوية، فإن صحَّت أخبار هذا المهدي، فلن يظهر إلا بعد تجديد عصبية هاشمية علوية، ولو سمعوا وعقلوا، لسعَوْا وعملوا، ولكان استعدادهم لظهور المهدي بالاهتداء بسنن الله تعالى رحمة لهم، تجاه ما كان في أخباره من الفتن والنقم فيهم، وربما أغناهم عن بعض ما يرجون من زعامته، إن لم يغنهم عنه كله.

كانت اليهود اغترَّت مثلنا بظواهر ما في كتب أنبيائهم من الأنباء بظهور مسيح فيهم يعيد لهم ما فقدوا من مُلْك داود وسليمان، فاتَّكلوا على ما فَهِم أحبارُهم منها بمحض التقليد الأصمِّ الذي لا يسمع، الأعمى الذي لا يُبصر، ومضت القرون في إثر القرون، وهم لا يزدادون إلا تفرُّقًا وضعفًا، فلما عرفت أجيالهم الأخيرة سنن الله تعالى في العمران، طفقوا يستعدُّون لاستعادة ذلك الملك والسلطان، بالسعي إلى إنشاء وطن يهودي خاص

QaradawiBooks.com

بهم، يقيمون فيه قواعد العمران، بإرشـاد العلوم والفنـون العصرية، التي يتعلَّمونها بما يُحْيُون من لغتهم العبرانية، وقد أنشـؤوا لذلك مصرفًا ماليًّا خاصًّا، وما زالـوا يجمعون لأجله الإعانات بالألـوف وألوف الألوف من الدنانير، حتى إنهم استمالوا لمساعدتهم في هذا العهد أقوى دول الأرض.

هذا، والمسـلمون لا يزالون يتَّكلون على ظهـور المهدي، ويزعم دهماؤهم أنه سينقُض لهم سـنن الله تعالى أو يبدِّلها تبديلًا، وهم يتلون قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]. فإذا كان من أشراط الساعة آياتٌ، وكان زمنها زمن خوارق العادات، فهل يضرُّهم أن تأتيهم على هُدًى من ربهم، وإقامة لشرعهم، وعزة وسلطان في أرضهم؟

على أنهم أنشؤوا في العصور الأولى عصبياتٍ لأجل المهدي، ولكنها جاهلية، بل أنشؤوا المهدي المنتظر نفسه لأجل تلك العصبيات المجوسية، التي كانت تسـعى لإزالة مُلك الأمة العربية، وإفساد دينهم الذي أعطاهم المُلك والقوة، ولأجل ذلك كثر الاختلاف في اسم المهدي ونسبه وصفاته وأعماله، وكان لكعب الأحبار جولة واسعة في تلفيق تلك الأخبار.

الاختلاف والاضطراب في أحاديث المهدي:

(منها): أن أشـهر الروايات في اسـمه واسـم أبيه عند أهل السنة أنه محمد بن عبد الله. وفي رواية: أحمد بن عبد الله، والشيعة الإمامية متَّفقون على أنه محمد بن الحسن العسـكري، وهما الحادي عشر، والثاني عشر من أئمتهم المعصومين، ويلقِّبونه بالحجة والقائم والمنتظر، ويقولون: إنه دخل السـرداب في دار أبيه في مدينة (سِـرُّ من رأى) التي تسـمى الآن (سامرَّاء) سنة ٢٦٥هـ، وله من العمر تسع سنين، وأنه لا يزال في السرداب

QaradawiBooks.com

حيًّا، وقد رفع إليه بعض علمائهم المتأخِّرين أسئلة شرعية في رقاع كانوا يلقونها، وزعموا أنهم كانوا يجدون فتاواه مدوَّنة فيها، ومسائل هذه الرقاع عندهم أصح المسائل والأحكام، وهم كلما ذكروه يقرنون اسمه بحرفي العين والجيم هكذا (عج)، وهما مقتطفتان من جملة: عجَّل الله خلاصه.

وزعمت الكيسانية أن المهدي هو محمد ابن الحنفية، وأنه حي مقيم بجبل رضوى، بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان نضاختان، يفيضان ماء وعسلًا، ومعه أربعون من أصحابه، فقولهم فيه كقول الإمامية في المهدي بن الحسن العسكري.

ورَضْوى، بفتح الراء: جبل جهينة من أرض الحجاز، على مسيرة يوم من ينبُع، وسبع مراحل من المدينة المنورة.

ويقال: إن السنوسية يعتقدون أن شيخهم المهدي السنوسي هو الإمام المنتظر. ومنهم مَن يقول: إنه اختفى، وقد بلغنا أنهم كانوا إذا سُئِلوا عن موته يقولون: الحي يموت! ولا يقولون: إنه قد مات.

ورُوِي عن كعب الأحبار أنه قال: إنما سُمِّي بالمهدي؛ لأنه يُهْدَى إلى أمر خفي، وسيُخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها: أنطاكية[1]. وفي رواية أخرى عنه: إنما سمي المهدي؛ لأنه يهدي إلى أسفار التوراة، فيستخرجها من جبال الشام، ويدعو إليها اليهود، فتُسْلِم على تلك الكتب جماعة كثيرة[2]. رواهما نعيم في (كتاب الفتن)،

(١) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٧٧٢)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٠٢٣).

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٦)، تحقيق د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، نشر دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ونعيم بن حماد في الفتن (١٠٢٣)، نشر مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

وروي مثل ذلك عن أبي عمرو الداني، وإنما هو مأخوذ من تضليلات كعب الأحبار.

والمشهور في نسبه (أي المهدي): أنه علوي فاطمي، من ولد الحسن. وفي بعض الروايات: ولد الحسين، وهو يوافق قول الشيعة الإمامية، وهنالك عدة أحاديث مصرِّحة بأنه من ولد العباس:

منها: ما رواه الرافعي عن ابن عباس، أنه ﷺ قال للعباس: «**ألا أبشِّرُك يا عم؟ إنَّ من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء، ومنك المهدي في آخر الزمان، به ينشر الله الهدى، ويطفئ نيران الضلالة، إن الله فتح بنا هذا الأمر وبذريتك يختم**»[(١)].

ومنها: حديث ابن عساكر عنه مرفوعًا أيضًا: «**اللهم انصر العباس، وولد العباس ـ ثلاثًا ـ يا عم، أما علمتَ أن المهديَّ من ولدك موفَّقًا مرضيًّا**»[(٢)].

قال ابن حجر: رجاله ثقات[(٣)]. وفي معناهما أحاديث أخرى لأبي هريرة[(٤)] وأم سلمة[(٥)] وعلي[(٦)]، وفي حديثه التصريح بأن المراد بالمهدي ثالث خلفاء بني العباس.

---

(١) رواه الرافعي في أخبار قزوين (٥/٢)، تحقيق عزيز الله العطاردي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٩/٢٦)، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء صـ ٢٠: الكديمي ـ أحد الرواة ـ وضَّاع.

(٣) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر صـ ٢١، تحقيق مصطفى عاشور، نشر مكتبة القرآن.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٥/١).

(٥) رواه الديلمي في الفردوس (٥٣٧١) بلفظ: «لن تزال الخلافة في ولد عمي صنو أبي: العباسِ، حتى يسلموها إلى الدجال».

(٦) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٤٩/٢٦) بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «**إن الله فتح هذا الأمر بي، ويختمه بولدك**».

QaradawiBooks.com

وفي معناه حديث أبي هريرة المعروف عندهم بحديث الرايات، وذكره ابن خلدون من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون من بعدي بلاءً وتشريدًا، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود..**»[(١)] إلخ. وهو من طريق يزيد أبي زياد، وهو من شيعة الكوفة، ضعَّفه الأكثرون، وروى له مسلم مقرونًا بغيره، وقال شعبة فيه: كان رفَّاعًا[(٢)]، أي: يرفع إلى النبي ﷺ الأحاديث التي لا تُعرف مرفوعة، وصرَّحوا بضعف حديثه هذا.

وهنالك أحاديث أخرى في نسبة المهدي إلى العباس، وعن ابن عباس عند البيهقي[(٣)]، وأبي نعيم، والخطيب البغدادي[(٤)]: روايات في التصريح بأن المهدي المنتظر هو العباسي، وذكر قبله السفَّاح والمنصور.

وأهل الرواية يتكلفون الجمع بين هذه الروايات وما يعارضها، باحتمال أن يكون لكل من العباس والحسن والحسين فيه ولادة، بعضها من جهة الأب، وبعضها جهةَ الأم، قاله ابن حجر ـ الهيتمي ـ

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٨٢)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٦٤/٤)، وسكت عنه، وقال الذهبي: موضوع. وقال الهيتمي في الصواعق المحرقة (٤٧٤/٢): في سنده من هو سيئ الحفظ مع اختلاطه في آخر عمره. وقال الألباني في الضعيفة (٥٢٠٣): منكر.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣٠/٦).

(٣) روى البيهقي في الدلائل النبوة (٥١٤/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، عن ابن عباس مرفوعًا: «منَّا السفاح، والمنصور، والمهدي». قال ابن كثير: موقوف، ورواه البيهقي مرفوعًا وهو ضعيف. البداية والنهاية (٢٧٧/٩).

(٤) أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٩١/١) بلفظ: «... يا عباس، إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك، منهم السفاح والمنصور والمهدي». قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح، في إسناده حنظلة، قال يحيى بن سعيد: كان قد اختلط. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال أحمد: منكر الحديث يحدِّث بأعاجيب. وقال الذهبي في الميزان (٩٧/١): رواه أبو بكر بن أبي داود وجماعة عن أحمد بن راشد، فهو الذي اختلقه بجهل.

QaradawiBooks.com

في (القول المختصر)[١]، وتبعه الشوكاني وغيره، ولكن ألفاظ الأحاديث لا تتفق مع هذا الجمع، على أنه لم يرد في أم المهدي شيء من هذه الروايات على كثرتها.

وسبب هذا الاختلاف: أن الشيعة كانوا يسعون لجعل الخلافة في آل الرسول ﷺ، من ذرية علي رضوان الله عليهم، ويضعون الأحاديث تمهيدًا لذلك، ففطن لهذا الأمر العباسيون، فاستمالوا بعضهم، ورأى أبو مسلم الخراساني وعصبيته أن آل عليٍّ يغلب عليهم الزهد، وأن بني العباس كبني أُمَيَّة في الطمع في الملك، فعمل لهم توسُّلًا بهم إلى تحويل عصبية الخلافة إلى الفرس، تمهيدًا لإعادة الملك والمجوسية، وحينئذ وُضِعت أحاديثُ المهدي مشيرة إلى العباسيين، مصرِّحة بشارتهم (السواد)، وأشهرها حديث ثوبان المرفوع في سنن ابن ماجه: «**يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى أحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونهم قتلًا لم يقتله قوم ـ ثم ذكر شيئًا لا أحفظه ـ فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي**»[٢].

قال السندي في (حاشيته على ابن ماجه): وفي (مجمع الزوائد): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين. اهـ.

---

(١) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر الهيتمي صـ٢٣، ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٧٢، ٧٣)، نشر مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

(٢) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٨٤)، والبزار (٤١٦٣)، والحاكم في الفتن (٤/٤٦٣)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في المصباح (٤/٢٠٤): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. وقال الألباني في الضعيفة (٨٥): منكر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فهو مثال لأصح ما رووه في المهدي، ولكن في إسناده عبد الرزاق بن همام الصنعاني الشـهير، وهو معروف بالتشـيُّع، وعَمِـيَ في آخر عمره فخلَّط، وكان من مشايخه عمه وهب بن منبِّه، وناهيك به. وفي سنده إلى ثوبان أبو قِلابة وسـفيان الثـوري وهما مدلِّسـان، وقد عنعنـا في هذا الحديث، ولم يقولا: إنهما سمعاه، فإذا أضفتَ إلى هذا طعن الطاعنين في عبد الرزاق، ومنهم ابن عدي القائل: إنه حدَّث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد، وما هو أعظـم من ذلك من رمي بعضهم إياه بالكذب على مكانته من هذا الفن.

وإذا تذكَّرت مع هـذا أن أحاديث الفتن والسـاعة عامة، وأحاديث المهدي خاصة، وأنها كانت مهبَّ رياح الأهواء والبدع، وميدان فرسـان الأحزاب والشيع؛ تبين لك أين تضع هذه الرواية منها.

ولمَّا انقضى أمر بني العباس، وكانت الأحاديث قد دُوِّنت، لم يسَعْ القائلين بظهور المهدي إلا أن يقولوا: إنَّ الرايات السود المروية فيها غير رايات بنـي العباس، علـى أن خصومهم كانوا قـد رووا في معارضتها روايات ناطقة بأن رايات المهدي تكـون صُفْرًا، وروايات في أن ظهوره من المغرب لا من المشرق.

قال محمد بن الصامت: قلت للحسين بن علي رضي الله عنهما: أما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ يعني: ظهور المهدي. قال: بلى. قلت: وما هي؟ قال: هلاك بني العباس، وخروج السفياني، والخسف بالبيداء. قلتُ: جعلني الله فداك، أخاف أن يطول هذا الأمر. فقال: إنما هو كنظام سلك، يتبع بعضه بعضًا[1].

(١) انظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى المقدسـي الشافعي (١١٩/١)، تحقيق الشيخ مهيب بن صالح بن عبد الرحمٰن البوريني، نشر مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ولوامع الأنوار (٧٨/٢).

QaradawiBooks.com

ورووا عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكرم وجهه، قال: تكون في الشام رجفة، يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذابًا على المنافقين، فإن كان كذلك فانظروا إلى أصحاب البراذِين الشُّهْب، والرايات الصُّفْر، تُقبل من المغرب، حتى تحلَّ بالشام، وذلك عند الجوع الأكبر، والموت الأحمر، فإذا كان ذلك، فانظروا خسف قرية من قرى دمشق يقال لها: (حرستا)، فإذا كان، خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك كله، فانظروا خروج المهدي[1]. انتهى الأثر المروي عن أمير المؤمنين.

ونحن نعلم أن ابن آكلة الأكباد لقبُ معاوية؛ لأن أمه أخرجت قلب حمزة سيد الشهداء رضوان الله عليه يوم قُتِل في أحد، فمضغته، وكانت هذه الرواية قد وُضعت فيما يظهر بعد أمير المؤمنين، للتبشير بانتقام المهدي من معاوية، ثم حملوها على السُّفْيَاني الذي كثرت الروايات في خروجه قبل المهدي، وقالوا: إنه من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، وإنه أحد الخوارج الذين يتقدَّمونه، بل شرُّهم، والآخرون هم الملقَّبون بالأبقع والأصهب والأعرج والكندي والجرهمي والقحطاني، ولفارس ميدان الخرافات الإسرائيلية كعب الأحبار تفصيلات لخروج هؤلاء، هي كالتفسير للأثر العَلَوي الموضوع، تراجع في «فرائد الفِكَر» للشيخ مرعي، و«عقائد السفاريني»[2] وغيرها.

(١) انظر: لوامع الأنوار (٧٩/٢).

(٢) فرائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر للشيخ مرعي صـ ٢٩٨ ـ ٣١٧، نشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م، ولوامع الأنوار البهية (٧٩/٢، ٨٠).

QaradawiBooks.com

فهذا نموذج من تعارض الروايات وتهافتها في المهدي، ولو ذكرنا ما في كتب الشيعة والمتصوفة في ذلك لجئنا بالعجب العجاب، وتمحيص القول فيها لا يتم إلا بسِفْرٍ مستقلٍّ»[1].

ترجيحي في قضية المهدي المنتظر:

والذي ترجَّح لي من خلال النظر في كل ما رُوِي، ومن خلال أقوال العلماء والمحقِّقين، ومن خلال النظر في أصول الإسلام، ومناهج البحث في علومه: أن الأمر لم يصل إلى درجة (اليقين القاطع)، الذي يكوِّن عقيدة يجب الإيمان بها، وتُضَم إلى سلسلة العقائد الإسلامية، التي يجب أن تُغرس في نفوس الأمة وعقولها، بحيث يشبُّ عليها الصغير، ويهرم عليها الكبير.

ولكن يمكن أن يقال: إن الأحاديث النبوية الواردة ـ على ما فيها أو في أكثرها من كلام ـ تعطي ظنًّا راجحًا بظهور هذا الشخص المنتظر من سلالة النبوَّة، في زمن تكون فيه الأحوال قد ساءت، والنفوس قد زاغت، والمسلمون قد غُلِبوا، والظلم قد عمَّ، والشر قد طمَّ، وتطلَّعت الأنظار، واشرأبَّت الأعناق إلى (منقذ)، يتِمُّ على يديه الخلاص مما تعانيه الأمة من انهيارات في الداخل، وانكسارات في الخارج، وانحرافات عن الحق.

هنا يجود القدر الأعلى على الأمة، بتهيئة الأسباب لظهور هذا الهاشمي الفاطمي بالإجماع، والغالب أنه من نسل الحسن بن علي، كما تشير أكثر الروايات، وكما علل ذلك ابن القيم فأحسن التعليل.

(١) تفسير المنار (٩/٤١٦ ـ ٤٢١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا الرجل ليس أكثر من (إمام عادل)، يلتفُّ حوله المسلمون، ويقيم عدل الله في الأرض، بتنفيذ شريعته، وإعطاء كل ذي حقٍّ حقه، ورد المظالم، وتأديب المتجبِّرين في الأرض، ورعاية حقوق الإنسان، أفرادًا وشعوبًا، وخصوصًا المستضعفين.

وحين يظهر هذا الرجل، ويرى الناس آثاره في الحياة والمجتمع والأمة، وأن الأرض في عهده قد ملئت عدلًا وقسطًا، بعد أن كانت ملئت ظلمًا وجورًا، هناك يقولون: هذا هو (المهدي المنتظر) الذي بشرتنا به الأحاديث من قبل، كما قال الناس عن عمر بن عبد العزيز، بعد خلافته التي أقام بها الحق، ونصر العدل، ونشر الخير: إنه أحد الراشدين المهديين! وقال بعضهم: هو خامس الراشدين ـ أي بعد علي ـ أو سادس الراشدين، أي: بعد الحسن بن علي.

ومعنى هذا: أنه لا توجد هناك (دعوة خاصة) للمهدي، ولا منهج جديد، غير منهج المسلمين، القائم على مُحكَمات القرآن والسنة.

بل هو مجرَّد أمير صالح مصلح مجدِّد، يحكم بما أنزل الله، يُجدِّد به الدين، ويُنهض به الدنيا، ويُحيي ما مات من سنن العدل والرشد، ويقود الأمة إلى الصراط المستقيم، ويوقظ هممها، ويحقِّق آمالها في العدالة والنماء والازدهار والتقدم، في ظل الإسلام، وتحت راية القرآن، فكأنما كانت معه على ميعاد، وإنا لهذا الرجل لمنتظرون.

ومما ينبغي أن نذكره هنا: أن كثيرًا من (المنتظِرين) لمنقذ أو مجدد، أدخلوا بعض المفاهيم والأفكار على فكرتهم الأصلية، حتى يخرجوا من طابور الانتظار الطويل، فرأينا اليهود الذين ينتظرون (المسيح) الذي سيقيم لهم ملك إسرائيل فيما زعموا، يتمرَّدون على

QaradawiBooks.com

تلك الفكرة بعض التمرد، ليسعوا هم قبل ظهور المسيح إلى إقامة دولة إسرائيل. وفي هذا سعى هرتزل زعيم الحركة الصهيونية، ومَن تبعه، لإقامة هذه الدولة، وعمل على أن تكون في (أرض الميعاد)، حتى يُغري اليهود بالهجرة إليها، وقد بشَّر بقيامها قبل أن تقوم بنحو خمسين سنة، ثم قامت بالفعل بعد خمسين أو إحدى وخمسين سنة! ويزعمون أن قيام دولة إسرائيل واستيلاءها على بيت المقدس من بشائر ظهور المسيح.

وممن خرجوا من طابور (الانتظار المطلق): الشيعة الإمامية، الذي ينتظرون خروج المهدي، أو رجعته بعد غيبته التي دامت حوالي اثنَيْ عشر قرنًا، وذلك حين رأى آية الله الإمام الخميني ومن وافقه من الآيات والملالي: أن الفقيه يمكن أن ينوب عن الإمام في غيبته، ويقيم الدولة، ويطبق الشرع على مذهب الأئمة المعصومين. وهو ما يعرف باسم (نظرية ولاية الفقيه). وهو ما تقوم عليه جمهورية إيران الإسلامية.

وقد فتن الناس بفكرة المهدي هذه في عصور شتى، وفي بلاد كثيرة، فظهر أناس يدعون المهدوية، ويدعون الناس إلى تصديقهم، منهم من تظهر كذبته، وتبطل دعوته، وينفض الناس عنه، أو يقتلونه ويستريحون منه، ومنهم مَن يثبت ويقاتل وينتصر على خصومه، ويبقى مدة من الزمن، سريعًا ما تنقضي، ومنهم مَن يتحوَّل من دعوى المهدية إلى ادعاء ما هو أشد منها وأعوص، كما حدث لعلي رضا الشيرازي الذي أطلق على نفسه (الباب)، وما حدث لحسين علي النور الملقب بـ(البهاء)، وكلاهما ظهر في إيران.

QaradawiBooks.com

ومنهم مَن اتخذ ذلك وسـيلة لتجميع الشعب من حوله لمحاربة الاستعمار ومقاومة الكفار، كما حدث لمهدي السودان.

ولا تـزال الأرض تلد مِن الناس مَن تروق لـه الفكرة، ومن يدَّعيها ويدافع عنها، ويوقع المسلمين البسطاء في لبس وتمويه، ولو رجعوا إلى قرآنهم العظيم وسـنة نبيهم الكريم، لعرفوا الحق وميـزوه من الباطل، ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢].

* * *

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة

٤

أشراط الساعة العظمى

ذكر لنا القرآن العظيم والسنة النبوية كثيرًا من أشراط الساعة، التي لا يعلم موعدها الحقيقي إلا الله وحده، وقد أخبر بقربها، وهو ما نؤمن به، كما أخبر في القرآن بأنها لا تأتي إلا بغتة. وقد سأل جبريل الروحُ الأمينُ من الملائكة النبيَّ ﷺ عن الساعة ـ أيْ: متى تقوم؟ ـ فقال له بصريح العبارة: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1].

ولكن السنة النبوية أنبأتنا بأشراط كثيرة للساعة، منها: أشراط صغرى متعددة، أطلنا الحديث عنها، في صفحاتنا السابقة، وتجلَّت لنا في تفريط الناس في الدين، في عقائده أولًا، ثم في عباداته وشعائره، ثم في قيمه وأخلاقه، ثم في تشريعاته ومعاملاته، في جانب الفرد، وفي جانب الأسرة، وفي جانب المجتمع وعلاقاته، وفي جانب الأمة الكبرى وشعوبها، وفي جانب الدولة الإسلامية ومسؤولياتها، وفي جانب العلاقات الإنسانية والعالمية.

وقع الكثير من الأشراط التي يسمُّونها (الصغرى)، ولم يبق إلا القليل منها، ننتظر أن يقع غدًا، أو بعد غد، أو بعدَ بعْد.

وبقي ما يسمى الأشراط الكبرى، وأبرزها خمسة أشراط مُتفَق عليها، إلى جانب خمسة أخرى ذكرها العلماء، وسنتحدث عنها بإجمال، ولن نطيل فيها كثيرًا.

(١) سبق تخريجه صـ ٣١.

نسخة مجانية
غير مرخص للبيع
QaradawiBooks.com

الخسوفات الثلاثة

دل على هذه الخسوفات الثلاثة حديث حذيفة بن أسيد ﷺ ـ وقد سبق ذكره ـ وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[(١)].

وحديث أم سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول ﷺ يقول: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب**». قلت: يا رسول الله أيخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ قال لها رسول الله ﷺ: «**إذا أكثر أهلها الخبث**»[(٢)].

هل وقعت تلك الخسوفات؟

هذه الخسوفات الثلاثة من الأشراط الكبرى التي لا تظهر إلا في آخر الزمان، وهي غير الخسوفات التي وقعت في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة؛ لأن تلك من أشراط الساعة الصغرى، أما هذه الخسوفات الثلاثة فهي خسوفات عظيمة.

قال الحافظ ابن حجر: «وقد وُجِد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدْرًا زائدًا على ما وُجِد، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١)، وأحمد (١٦١٤١).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٤٧)، والكبير (٢٧١/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥٩٥): في الصحيح بعضه. رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات.

(٣) فتح الباري (٨٤/١٣).

QaradawiBooks.com

أين تقع الخسوفات؟

أخبرنا النبي ﷺ أن الخسوفات تقع في أماكن ثلاثة:

المكان الأول: جهة الشرق، والمراد به مشـــرق المدينة. أي: موضعٌ بالمشرق، وليس جميع أرجائه.

والمكان الثاني: جزيرة العرب، ولا يلزم أن يعُمَّ جميع أرجائها، بل ربما أتى على بعض قبائلها، كما جاء في (المســـند) قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يُخسف بقبائلَ، فيقال: من بقي من بني فلان؟**»[1].

والمكان الثالث: جهة الغرب، والمراد بـــه غرب المدينة النبوية، أي في موضع منه.

* * *

(١) رواه أحمد (١٥٩٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٧٣/٨)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٤٥/٤)، وصحح إســناده، ووافقــه الذهبي، وقال الهيثمي فــي مجمع الزوائد (١٢٥٨٢): رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى والبزار، ورجاله ثقات. عن صحار العبدي.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الدخان الذي يكون في آخر الزمان

الدخان الذي يكون في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى وأشراطها العظمى، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۞ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٠ ـ ١٣].

وفي حديث حذيفة بن أَسِيد الغفاري المتقدِّم، قال: اطَّلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «**ما تذاكرون؟**» قلنا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان والدجال والدابة..[1] الحديث.

ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحدكم، وأمر العامة**»[2].

اختلاف العلماء حول المراد بالدخان في قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾:

اختلف العلماء في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة على قولين:

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١)، وأحمد (١٦١٤١).

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٧)، وأحمد (٨٣٠٣).

QaradawiBooks.com

١ ـ فذهب بعضهم إلى أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشًا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي ﷺ حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلا الدخان، وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وتبعه جماعة من السلف، ورجَّحه ابن جرير الطبري رحمه الله [١].

وقد استدل هؤلاء بما جاء في حديث مسروق بن الأجدع قال: كنا جلوسًا عند عبد الله بن مسعود، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، إنَّ قاصًّا يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء، فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام. فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس، اتقوا الله، من علم منكم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، إن رسول الله ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا قال لهم: «**اللهم سبعٌ كسبع يوسف**». قال: فأخذتهم سَنَة حصَّت كلَّ شيء، حتى أكلوا الجلود والمَيْتة من الجوعِ، وينظر إلى السماء أحدُهم فيرى كهيئة الدخان[٢].

٢ ـ وذهب كثير من العلماء إلى أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم وغيرهم، وكثير من التابعين.

---

(١) تفسير الطبري (١٨/٢٢).

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٣/٢٢، ١٤).

QaradawiBooks.com

وقد رجَّح الحافظ ابن كثير هذا القول، مستدلًّا بالأحاديث التي سبق ذكرها، وبغيرها من الأحاديث، وأيضًا بما أخرجه ابن جرير وغيره عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمتُ البارحة حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذَّنَب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت[1].

قال ابن كثير بعد ذكره لهذا الأثر: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حَبر وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرها، التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠]. أي: بيِّن واضح، يراه كل أحد. وعلى ما فسَّر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد، وهكذا قوله تعالى: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الدخان: ١١]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان: ١١]. أي يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا»[2].

وقد ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار بأن قالوا: هما دخانان، ظهر أحدهما، وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة.

(١) رواه الطبري في التفسير (١٧/٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧، ٢٥٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال الإمام ابـــن جرير الطبري بعـــد أن مال إلى أن هـــذا الدخان المذكور في الآية كان وعيدًا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخَّره عنهم لغيرهم: «وبعد، فإنـــه غير منكَر أن يكون أحـــل بالكفار الذين توعدهم بهـــذا الوعيد ما توعدهـــم، ويكون محلًا فيما يســـتأنف بعدُ بآخرين دخانًا علـــى ما جاءت بـــه الأخبار عن رســـول الله ﷺ عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله ﷺ قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رُويا عن رسول الله ﷺ صحيح»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهمـــا، والذي بقي يملأ ما بين الســـماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه[(٢)].

قال النووي: ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار[(٣)].

تفسير الأستاذ سيد قطب لآيات سورة الدخان:

وننقل هنا ما قاله الأستاذ سيد قطب في ظلاله، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ وتقبله في الشهداء: «﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ٩ ـ ١٦].

(١) تفسير الطبري (١٩/٢٢).
(٢) التذكرة للقرطبي صـ ١٢٦٧.
(٣) شرح النووي على مسلم (٢٧/١٨).

QaradawiBooks.com

وقد اختلف السلف في تفسير آية الدخان، فقال بعضهم: إنه دخان يوم القيامة، وإن التهديد بارتقابه كالتهديد المتكرر في القرآن، وإنه آتٍ يترقبونه ويترقبه رسول الله ﷺ.

وقال بعضهم: بل هو قد وقع فعلًا، كما توعدهم به، ثم كُشِف عن المشركين بدعاء الرسول ﷺ، فنذكر هنا ملخص القولين وأسانيدهما. ثم نعقب بما فتح الله به، ونحسبه صوابًا إن شاء الله.

قال سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن مسروق، قال: دخلنا المسجد ـ يعني مسجد الكوفة ـ عند أبواب كِنْدة. فإذا رجل يقص على أصحابه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾.. تدرون ماذا الدخان؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام. قال: فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه، فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعًا، ففزع فقعد، وقال: إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم.

أحدثكم عن ذلك، إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان[1] ـ وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ـ قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.. فأُتِيَ رسول الله ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، استسق الله لمُضَر، فإنها قد هلكت. فاستسقى ﷺ

(١) سبق تخريجه صـ ١١٥.

QaradawiBooks.com

لهم، فُسُقوا. فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾.. قال ابن مسعود رضي الله عنه: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ قال: يعني: يوم بدر[١].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: فقد مضى خمسة: الدخان، والرُّوم، والقمر، والبطشة، واللِّزام[٢].

وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحين، ورواه الإمام أحمد في مسنده، وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيرهما.

وعند ابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الأعمش به. وقد وافق ابنَ مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا، وأن الدخان مضى: جماعة من السلف، كمجاهد، وأبي العالية، وإبراهيم النخعي، والضحَّاك، وعطية العوفي. وهو اختيار ابن جرير[٣].

وقال آخرون: لم يمضِ الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة، كما ورد في حديث أبي سَريحة حُذيفة ابن أَسِيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس ـ أو:**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٢١)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٩٨).
(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٨٢٠).
(٣) تفسير الطبري (١٤/٢٢ ـ ١٨).

QaradawiBooks.com

تحشر الناس ـ تبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيل معهم حيث قالوا»..[١] تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن عوف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه. والثانية: الدابة، والثالثة الدجال**»[٢]. ورواه الطبراني، عن هاشم بن زيد، عن محمد بن إسماعيل بن عياش بهذا النص.

وقال ابن جرير كذلك: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، عن ابن جريج، عن عبد الله بن أبي مليكة، قال: غدوتُ على ابن عباس رضي الله عنهما ذاتَ يوم، فقال: ما نمتُ الليلةَ حتى أصبحت. قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذَّنَب، فخشيتُ أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحتُ[٣].

وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه، عن ابن عمر، عن سفيان، عن عبد الله بن أبي يزيد، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.

قال ابن كثير في التفسير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن. وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي

---

(١) سبق تخريجه صـ ١١٤.

(٢) رواه الطبري في التفسير (١٨/٢٢)، والطبراني (٢٩٢/٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧)، وقال: وهذا إسناد جيد.

(٣) سبق تخريجه صـ ١١٦.

QaradawiBooks.com

الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوهـا، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة علـى أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾.. أي بيِّن واضح يراه كل أحد. وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد.

وهكذا قوله تعالى: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾.. أي يتغشاهم ويُعميهم، ولو كان أمرًا خياليًّا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه: ﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾..

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا.

كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [الطور: ١٣، ١٤]. أو يقول بعضهم لبعض ذلك.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾.. أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سـائلين رفعه وكشـفه عنهـم. كقوله جلَّت عظمته: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعـام: ٢٧]. وكذا قوله جـل وعلا: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤].. وهكذا قال جل وعلا هاهنا: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ يقول: كيف لهم التذكُّر وقد أرسـلنا إليهم رسولًا بيِّن الرسالة والنذارة، ومع هذا تولوا عنه، وما وافقوه بل كذبوه، وقالوا: معلَّم مجنون. وهذا كقوله جلت عظمته: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الفجر: ٢٣] الآية. وقوله عز وجل: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ

QaradawiBooks.com

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۞ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥١، ٥٢] إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾. يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه يقول تعالى: ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب. كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥] وكقوله جلت عظمته: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

والثاني: أن يكون المراد: إنا مؤخِّرو العذاب عنكم قليلًا بعد انعقاد أسبابه، ووصوله إليكم، وأنتم مستمرُّون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال. ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٨٩]. ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم.. وقال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله[1].

وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۖ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه بيوم بدر. وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه وجماعة عنه على تفسير الدخان بما تقدَّم، وروي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي عنه، وأبي بن كعب رضي الله عنه، وهو محتمل: والظاهر أن ذلك يوم القيامة.

(١) رواه الطبري في التفسير (٢١/٢٢).

QaradawiBooks.com

وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا. قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن علية، حدثنا خالد الحذَّاء، عن عكرمة قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال ابن مسعود رضي الله عنه: البطشة الكبرى يوم بدر. وأنا أقول: هي يوم القيامة[١]..

وهذا إسناد صحيح عنه. وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه، والله أعلم[٢] انتهى كلام ابن كثير.

ونحن نختار قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الدخان بأنه عند يوم القيامة، وقول ابن كثير في تفسيره، فهو تهديد له نظائره الكثيرة في القرآن الكريم، في مثل هذه المناسبة. ومعناه: إنهم يشكُّون ويلعبون، فدعهم وارتقب ذلك اليوم المرهوب، ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾، ووصف هذا بأنه عذاب أليم.

وصور استغاثتهم: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾.. ورده عليهم باستحالة الاستجابة، فقد مضى وقتها: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۞ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾.. يعلمه ذلك الغلام الأعجمي! وهو ـ كما زعموا ـ مجنون.

وفي ظل هذا المشهد الذي يرجون فيه كشف العذاب فلا يجابون يقول لهم: إن أمامكم فرصة بعدُ لم تَضِع، فهذا العذاب مؤخَّر عنكم قليلًا، وأنتم الآن في الدنيا، وهو مكشوف عنكم الآن، فآمنوا كما تعدون أن تؤمنوا في الآخرة فلا تجابون، وأنتم الآن في عافية لن تدوم، فإنكم

(١) رواه الطبري في التفسير (٢٣/٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧ ـ ٢٥١).

QaradawiBooks.com

عائدون إلينا، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ﴾.. يوم يكون ذلك الدخان الذي شهدتم مشهده في تصوير القرآن له.

﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ من هذا اللعب الذي تلعبون، وذلك البهت الذي تبهتون به الرسول ﷺ، إذ تقولون عنه: (مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ).. وهو الصادق الأمين..

بهذا يستقيم تفسير هذه الآيات، كما يبدو لنا، والله أعلم بما يريد»[1].

* * *

(١) في ظلال القرآن (٥/٣٢١٠ ـ ٣٢١٢)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مصورة
QaradawiBooks.com

خروج الدابة

ومن علامات الساعة الكبرى التي ذكرت في القرآن وفي السنة النبوية الصحيحة هذه الدابة التي تخرج في آخر الزمان، عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال الفخر الرازي متحدِّثًا عن سياق ورود هذه الآية من سورة النمل: «اعلم أن الله تعالى بيَّن بالدلائل القاهرة كمال القدرة وكمال العلم، ثم فرَّع عليهما القول بإمكان الحشر، ثم بيَّن الوجه في كون القرآن معجزًا، ثم فرَّع عليه نبوة محمد ﷺ، ثم تكلَّم الآن في مقدمات قيام القيامة، وإنما أخَّر تعالى الكلام في هذا الباب عن إثبات النبوة، لِمَا أن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق، وهذا هو النهاية في جودة الترتيب.

واعلم أنه تعالى ذكر تارة ما يكون كالعلامة لقيام القيامة، وتارة الأمور التي تقع عند قيام القيامة، فذكر أولًا من علامات القيامة: دابة الأرض»[1]. ثم استعرض الأقوال التي قيلت في شكل الدابة ومكان خروجها ومن أين تخرج ثم قال: «واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور، فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قُبِل، وإلا لم يُلتفَت إليه.

(١) تفسير الفخري الرازي (٥٧٢/٢٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ فالمراد من القول متعلَّقه، وهو ما وُعِدُوا به من قيام الساعة ووقوعه: حصوله، والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها، أما دابة الأرض فقد عرفتها.

وأما قوله: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ فقرئ (تَكْلَمُهُمْ) من الكلم وهو الجرح.. واعلم أنه يجوز أن يكون (تَكْلَمُهُمْ) من الكلم أيضًا على معنى التكثير، يقال فلان مُكَلَّم، أي مُجَرَّح»[١].

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط»: «﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمَّنه القول الأزلي من الله، كقوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾، فالمعنى: إذا أراد الله أن يُنفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب، أخرج لهم دابة تنفُذ من الأرض. و(وقع): عبارة عن الثبوت واللزوم. و(القول)، إما على حذف مضاف، أي: مضمون القول، وإما أنه أطلق القول على المَقُول، لما كان المقول مؤدًّى بالقول، وهو ما وُعِدوا به من قيام الساعة والعذاب.

وقال ابن مسعود: ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، يكون بموت العلماء، وذهاب العلم، ورفع القرآن. انتهى[٢].

وروي أن خروجها حين ينقطع الخير، ولا يؤْمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا تائب.

---

(١) تفسير الفخري الرازي (٥٧٢/٢٤، ٥٧٣).

(٢) تفسير القرطبي (٢٣٤/١٣)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٤٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط. ولم يُعيَّن الأول، وكذلك الدجال. وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها»[١].

وما ذكره أبو حيان في تفسيره، هو الحديث المتقدم الذي رواه مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[٢].

ولكن هذا الحديث يخالف ظاهره الوقائع؛ لأن طلوع الشمس من مغربها لا يجعل فائدة من ظهور الدجال، أو نزول المسيح عيسى ونحوه من الآيات، فالظاهر كما قال أبو حيان، وكما نقلنا قبلُ عن الحليمي: أن طلوع الشمس هو آخر الآيات، فلا معنى بعد هذا لتذكير الناس بالآخرة أو دعوتهم إلى الإسلام والتوبة، وقد رُفض قبول الإسلام من الكافر، والتوبة من المسلم، وقد نقلنا بعض تخريجات العلماء كالطيبي وابن حجر لحديث ابن عمرو، وربما يكون عبد الله بن عمرو رضي الله عنه تأثَّر ببعض ما سمعه من بعض مسلمة أهل الكتاب.

والظاهر، كما قال أبو حيان أيضًا: «أن الدابة التي تخرج هي واحدة.

وروي أنه يخرج في كل بلد دابة، مما هو مبثوث نوعها في الأرض، وليست واحدة، فيكون قوله: دابة اسم جنس.

---

(١) البحر المحيط (٢٦٨/٨)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤١)، وأحمد (٦٨٨١).

QaradawiBooks.com

واختلفوا في ماهيتها وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما يخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافًا مضطربًا معارِضًا بعضه بعضًا، ويُكذب بعضه بعضًا، فاطَّرَحنا ذكره؛ لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله»[(١)].

وقال الآلوسي في تفسيره: «﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ بيان لما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾[(٢)] من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومبادئها، والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجيء الساعة، وما فيها من فنون الأهوال التي كانوا يستعجلونها، وبوقوعه قيامها وحصولها، عبَّر عن ذلك به للإيذان بشدة وقعها وتأثيرها، وإسناده إلى القول لِمَا أن المراد بيان وقوعها من حيث إنها مصداقٌ للقول الناطق بمجيئها، وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١]. ففيه مجاز المشارفة، أي: إذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومِصْدَاقه»[(٣)].

كلام العلامة أحمد شاكر حول خروج الدابة:

وقال العلامة المحدث الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والآية صريحة بالقول العربي أنها (دابة)، ومعنى الدابة في لغة العرب معروف واضح، لا يحتاج إلى تأويل، وقد بيَّن الحديث بعض فعلها، ووردت أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها بخروج هذه الدابة الآية، وأنها تخرج آخر

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٢٦٩/٨، ٢٦٨).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل قبل ذكر الدابة بعدة آيات: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧١، ٧٢].

(٣) روح المعاني للآلوسي (٢٣٢/١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

الزمان، ووردت آثار أُخَر في صفتها لم تنسب إلى رسول الله ﷺ المبلِّغ عن ربه، والمبيِّن آيات كتابه، فلا علينا أن ندعها.

ولكن بعض أهل عصرنا من المنتسبين إلى الإسلام، الذين فشا فيهم المنكر من القول، والباطل من الرأي، الذين لا يريدون أن يؤمنوا بالغيب، ولا يريدون إلا أن يقفوا عند حدود المادة التي رسمها لهم معلِّموهم وقدوتهم من ملحدي أوربا الوثنيين الإباحيين، المتحلِّلين من كل خُلُق ودين، فهؤلاء لا يستطيعون أن يؤمنوا بما نؤمن به، ولا يستطيعون أن ينكروا إنكارًا صريحًا، فيجمجمون ويحاورون ويداورون، ثم يتأوَّلون، فيخرجون الكلام عن معناه الوضعي الصحيح للألفاظ في لغة العرب، يجعلونه أشبه بالرموز، لما وقر في أنفسهم من الإنكار الذي يبطنون!

بل إن بعضهم لينقل التأويل عن رجل هندي معروف أنه من طائفة تنتسب للإسلام، وهي له عدو مبين، وعبيد لأعدائه المستعمرين!! فانظر إليهم أنَّى يترددون ويُصرفون؟ وأي نار يقتحمون؟ ذلك بأنهم بآيات الله لا يوقنون»[1] اهـ.

* * *

(١) المسند للإمام أحمد (٨٢/١٥)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م.

QaradawiBooks.com

فتنة المسيح الدجال

من أشراط الساعة الكبرى، التي استفاضت بها الأحاديث الصحاح والحسان: ما حذَّر منه الرسول الكريم الذي ختم الله به الرسل، محمد ﷺ، من ظهور فتنة المسيح الدجال.

وهذا المسيح تقوم دعواه للناس على أساس الدجل والكذب، فهو يظهر في زمن يشعر الناس فيه بنوع من صلاح الحال، وظهور العدل في الأرض، بعد أن ضاع العدل فيها، مع أن الله تعالى إنما أرسل رسله، وأنزل كتبه إلى الناس لهدف واحد، أعلنه القرآن على الناس ليَتَبَيَّنُوه ويعرفوه، وهو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

فقبل ظهور الدجال يظهر المهدي المنتظر، الذي يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، أظهر ذلك بعض الأحاديث، التي لم يُخرِّج منها البخاري ولا مسلم في صحيحَيْهما شيئًا، والتي صُحِّح بعضُها، وحُسِّن بعضها، حتى ابن خلدون نفسه أقر بذلك، ونحن لم ننكر ذلك، ونرى أن هذا داخل فيما جاء به الإسلام كله، بقرآنه وسنَّة نبيّه، من بعث الآمال الطيبة في قلوب المؤمنين؛ ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وليكونوا على ثقة دائمة: أن الله لا يمكن أن يتخلَّى عن أهل الإيمان، وإن وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وإن ضعفوا أو استكانوا.

الدجال الأكبر والدجاجلة الصغار:

لذلك يظهر الدجال مع دجاجلة كثيرين، يملؤون الآفاق بالدعاوى الكاذبة: أنهم أنبياء بعثهم الله بالكتاب والحكمة، وسيظهر في هذه الفترة

QaradawiBooks.com

الكئيبة المضلِّلة، ما يكمل الثلاثين من أدعياء النبوة، الذين يكذِّبهم كل شيء فيهم، أو فيما حولهم، فليس معهم هداية جديدة يحتاج إليها الناس، وليس معهم كتبٌ مقدَّسة مثل القرآن، وليست سيرتهم سيرة فيها هدى ونور، كما كانت سيرة المسيح، أو سيرة محمد عليهما الصلاة والسلام، إنما هي جعجعة لا يُرى بعدها طِحْنٌ. كلام في كلام، لا ينتج أثرًا، ولا يولد عملًا، وليس وراءه فائدة للناس.

وقد قال المسيح عيسى عليه السلام: «احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة * من ثمارهم تعرفونهم، هل يجتنون من الشوك عنبًا، أو من الحَسَك تينًا؟ * هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية * لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة * كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطَع وتُلقَى في النار * فإذن من ثمارهم تعرفونهم»[1].

وتلا محمد ﷺ علينا القرآن، وهو يقول: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]. ويقول: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۞ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٦].

(١) إنجيل متَّى (٧/١٥ ـ ٢٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بعد هؤلاء الدجاجلة الصغار يظهر الدجال الأكبر، الذي جعله الله فتنة للناس في آخر الزمن، ليظهر للناس: من يتبع الرسول، ومن ينقلب على عقبيه.

يبدو أن هذا الدجال الأكبر، ممَّن مكَّنه الله تعالى من ناحية العلم الكوني: الفيزيائي والفلكي والكيمائي، والأرضي والبحري والبيولوجي، والتكنولوجي والمعلوماتي والاتصالاتي والرياضي، وغيرها من أنواع العلوم التي مكَّنت الإنسان من تقريب المسافات، وطيّ المساحات، وتسريع الزمان، وتقريب المكان، بما لم يكن يحلُم به أحد من قبلُ مجرد حلم، فكيف وقد أصبح واقعًا مشاهدًا؟

يبدو أن هذا الرجل سيظهر من بين اليهود، وسيكون معه سبعون ألفًا من يهود أصفهان، كما جاء في الحديث[1]، وسيصنع أشياء بما عنده من علم، وأشياء أخرى بما يمكِّن الله له، كما صحَّ في بعض الأحاديث، وإن كان بعض الناس قد بالغ فيما أعطاه الله امتحانًا للناس، فقد روى الشيخان أن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: «**ما يضرك منه؟**». قلتُ: لأنهم يقولون: إن معه جبلَ خبزٍ، ونهرَ ماءٍ. قال: «**هو أهون على الله من ذلك**»[2].

(١) سبق تخريجه صـ ٩٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩)، كلاهما في الفتن.
والمعنى: أن الدجال أهون على الله من أن يجعل ما يخلقه على يديه مضلًّا للمؤمنين وتشكيكًا لقلوب الموقنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون، لا أن قوله هو أهون على الله من ذلك أنه ليس شيء من ذلك معه، بل المراد: أهون من أن يجعل شيئًا من ذلك آية على صدقه. انظر: فتح الباري (٩٣/١٣).

QaradawiBooks.com

اهتمام السلف الأولين بتعليم الناس أخبار أشراط الساعة، ومنها الدجال:

يقول العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقدمته لتحقيق كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للإمام الكشميري: «كان السلف الصالحون يداومون على تعليم تلك الأخبار والأحاديث، ويَذْكرونها للناس، حتى للأولاد في الكُتَّاب، ليتوارثوا معرفتها بعلم وبصيرة، ولتكون لهم بها عقيدةٌ راسخةٌ أصيلة، تزيد متانةً على مرور الأيام. وقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يَلقى الفتى الشابَّ فيقول له: يا ابنَ أخي، إنك عسى أن تلقى عيسى بنَ مريم، فأقرئهُ مني السلام[1]. تحقيقًا لنزوله.

وروى مسلم في (صحيحه) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يُعلِّمهم هذا الدعاء كما يُعلِّمهم السورة من القرآن، يقول: «**قولوا: اللهمَّ إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[2]. قال مسلم بن الحجاج: بَلَغني أنّ طاوسًا ـ وهو راوي الحديث عن ابن عباس ـ قال لابنه: أدعوتَ بها في صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعِدْ صلاتك. انتهى.

وإنما أَمَر طاوسٌ ابنَه بإعادة الصلاة؛ لأنه كان يرى وجوب الدعاء في الصلاة بهذه الدعوات الأربع، ويَرى أن المصلِّي إذا أخلَّ بها بطلَتْ صلاتُه، وذلك لما فَهِمَه من وجوبها من اهتمام النبي ﷺ بتعليمها للصحابة، كما كان يُعلِّمُهم السورة من القرآن، وأمْرِه لهم بالدعاء بها في صلواتهم.

---

(١) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد القرطبي (٢٥٥/١٨)، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) رواه مسلم في المساجد (٥٩٠)، وأحمد (٢١٦٨).

QaradawiBooks.com

وقد رَوَى مسـلم في (صحيحه) أيضًا، عن عائشة: أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهذا الدعاء[١].

ورَوَى أيضًا عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تشهَّد أحدُكم فليَسْتعِذْ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنَّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المَحْيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال**»[٢].

وما هذا الاهتمام العظيم من النبي ﷺ بهذا الدعاء عملًا وأمرًا وتعليمًا، إلا لما حواه من التعوُّذ من عظائم الأمور، والأهوال الكائنة الحقِّ ولا ريب، ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهري بفرضية قراءة هذا التعوُّذ بعد الفراغ من التشهُّد كما في كتابه (المحلَّى) أخذًا من ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه [٣].

وقال العلامة السَّـفاريني في شـرح منظومته في العقيدة الإسلامية المسمَّى (لوامع الأنوار البهية): ينبغي لكل عالم أن يبُثَّ أحاديث الدجَّال بين الأولاد والنساء والرجال، لا سيَّما في زماننا هذا، الذي اشرأبَّتْ فيه الفِتَن، وكثُرَتْ فيه المِحَن، واندرسَـتْ فيه معالمُ السُّنن، وصارَتْ السُّنَّة فيه كالبِدَع، والبدعة شرعٌ يتَّبع[٤]! انتهى.

وهذه المعاني كلها هي التي دعَتْ الفقير إليه تعالى أن يهتمَّ بنشر هذا الكتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، على هذا الوجه المشرق الجَّذاب، تبصيرًا للمسلمين بعقيدتهم، وبيوم آخرتهم»[٥].

---

(١) رواه مسلم في المساجد (٥٨٩).
(٢) رواه مسلم في المساجد (٥٨٨)، وأحمد (١٠١٨٠).
(٣) انظر: المحلى (٣٠١/٢)، نشر دار الفكر، بيروت.
(٤) لوامع الأنوار البهية (١٠٧/٢).
(٥) مقدمة كتاب التصريح بما تواتر في نزول المسـيح للكشـميري صـ ٨، ٩، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٣، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

QaradawiBooks.com

تحذير الشيخ الألباني من فتنة الدجال:

ولقد جاء في بعض الأحاديث: أن الدجال يخرج على الناس في زمن غفل الناس عنه، ولم يعودوا يتكلَّمون عن فتنته، وعن الأحاديث التي وردت في شأنه[١]. ولذا قال الشيخ الألباني: «ولقد صدق هذا الخبر على أئمة المساجد، فتركوا ذكر الدجال على المنابر، وهم خاصة الناس؛ فماذا يكون حال عامتهم؟! وإذا كان الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سببًا؛ فلست أشكُّ أن سبب هذا الإهمال لذكره، مع اهتمام الرسول ﷺ، أشد الاهتمام في التحذير من فتنته ـ كما ستراه فيما يأتي في أول قصته ـ إنما هو تشكيك بعض الخاصة في الأحاديث الواردة فيه؛ تارة في ثبوتها وعدم ورودها بطريق التواتر ـ زعموا ـ وتارة في دلالتها كما تقدَّم بيانه، فكان من الواجب أن يقوم أهل العلم بواجبهم؛ فيُبيِّنوا للأمة ما حدَّثهم به رسول الله ﷺ من فتنة الدجال وقتل عيسى عليه السلام إيَّاه، بنفس الطريق التي تتلقى الأمة بها عن النبي ﷺ كل ما يتعلق بدينها من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها، ألا وهو الحديث النبوي، وبذلك يقضى على السبب المشار إليه، ويعود الناس فيذكرون الدجال وفتنته، فيتَّخذون الأسباب لاتقائها، فلا يغترون بأضاليله وتحاريفه التي لا يصدِّق بإمكان وقوعها من مِثله إلا المؤمن الذي لا يرتاب أدنى ارتياب فيما جاء من أنواع الفتن، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]».

(١) إشارة إلى حديث: «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر». رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٦٦٦٧)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٤٩٩): رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات. وقد أعله بالإرسال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة الصعب (٣٤٥/٣).

QaradawiBooks.com

الوسائل والأسباب التي تعصم من فتنة الدجال:

قال الألباني: «فإذا علم المؤمن بذلك وآمن به؛ اتخذ الأسباب التي تعصمه من فتنته، وهي:

أولًا: الاستعاذة بالله تعالى من شر فتنته، والإكثار منها، لا سيما في التشهُّد الأخير في الصلاة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهُّد الآخر، فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(١)].

وثبت في (الصحيحين) وغيرهما، عن جمع من الصحابة، منهم عائشة رضي الله عنها[(٢)]: أن النبي ﷺ كان يستعيذ من فتنته.

بل إنه أمر بالاستعاذة من فتنته أمرًا عامًّا؛ كما في حديث زيد بن ثابت قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أَقْبُرُ ستةٍ أو خمسةٍ أو أربعة، فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**». فقال رجل: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**». قال: ماتوا في الإشراك. وفي رواية: في الجاهلية. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها، فلولا ألَّا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمِعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**». ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوَّذوا بالله من عذاب النار**». قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «**تعوَّذوا بالله من عذاب القبر**». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال:

(١) سبق تخريجه صـ ١٣٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٣٤.

QaradawiBooks.com

«**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منه وما بطن. قال: «**تعوذوا بالله مـــن فتنة الدجال**». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[(١)].

ثانيًا: أن يحفظ عشـــر آيات من أول سورة الكهف، فقد قال ﷺ: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من [فتنة] الدجال**».

رواه مسلم وغيره عن أبي الدرداء[(٢)]،[(٣)].

ثالثًا: أن يبتعد عنه، ولا يتعرض له؛ إلا إن كان يعلم من نفسه أن لن يضره لثقته بربه، ومعرفته بعلاماته التي وصفه النبي ﷺ بها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَن ســـمع بالدجال فليناَ عنه، فوالله، إن الرجل ليأتيه وهو يحســـب أنه مؤمن، فيتبعه، مما يُبعث به من الشـــبهات**». أخرجـــه أحمد وغيره، عن عمران بن حصين[(٤)]»[(٥)].

لا ندعو الناس لترك بلادهم والهجرة إلى مكة والمدينة:

ولا نرى هنا ضرورةً لما رآه العلامة الألباني من أن من وسائل النجاة من الدجال: أن يســـكن مكة والمدينة، واســـتدل على ذلك بحديث أنس

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٧)، وأحمد (٢١٦٥٨).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨٠٩)، وأحمد (٢١٧١٢)، وأبو داود في الملاحم (٤٣٢٣).

(٣) قال مسلم: قال شعبة: «من آخر الكهف». وقال همام: «من أول الكهف». قال المناوي مبيِّنًا ســـبب العصمة: وذلك لما في قصة أهل الكهف من العجائب، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يفتن، أو لأن من تدبَّر هـــذه الآيات، وتأمَّل معناها حَـــذِره، فأمن منه، أو هذه خصوصية أودعت في السورة. فيض القدير للمناوي (١١٩/٦).

(٤) رواه أحمد (١٩٨٧٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الملاحم (٤٣١٩).

(٥) قصة المسيح صـ ٣١ ـ ٣٣، نشر المكتبة الإسلامية، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.

QaradawiBooks.com

المتفق عليه: «**يجيء الدجال فيَطَأ الأرض، إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة، فيجد بكل نَقْبٍ من نِقَابها صفوفًا من الملائكة**»[١].

قال الألباني: ومثلهما المسجد الأقصى والطور.

قلتُ: مكة والمدينة لا تحتمل هجرات المسلمين من أنحاء العالم إليهما، وكذا الأقصى والطور، ولا نريد أن نقلق الناس في بلادهم، ونشعرهم بالخوف ليذهبوا إلى هذه البلاد التي لا يدخلها الدجال.

قال الشيخ الألباني: «واعلم أن هذه البلاد المقدسة إنما جعلها الله عصمة من الدجال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربها، وإلا فمجرد استيطانها ـ وهو بعيد في حياته عن التأدُّب بآداب المؤمن فيها ـ فَمِمَّا لا يجعله في عصمة منه، فالدجال عليه لعائن الله حين يأتي المدينة النبوية، وتمنعه الملائكة من دخولها؛ ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه[٢].

فهؤلاء المنافقون والمنافقات ـ وقد يكون نفاقهم عمليًّا ـ لم يَعْصِمْهُمْ من الدجال سكنهم في المدينة النبوية؛ بل خرجوا إليه، وصاروا من أتباعه كاليهود!

وعلى العكس من ذلك؛ فمن كان فيها من المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ فهم مع كونهم في عصمة من فتنته؛ فقد يخرج إليه بعضهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨١)، ومسلم في الفتن (٢٩٤٣)، عن أنس.

(٢) إشارة إلى الحديث السابق وفيه: «فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق».

QaradawiBooks.com

متحدِّيًا، وينادي في وجهه: هذا هو الدجَّال الذي كان رسول الله ﷺ يحدِّثنا حديثه[١].

فالعبرة إذًا بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما السكن في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر؛ لم يُفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عن الهجرة: «**ويحَك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟**». قال: نعم. قال: «**فهل تؤتي صدقتَها؟**». قال: نعم. قال: «**فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَتِرَكَ من عملك شيئًا**»[٢].

وما أحسن ما روى الإمام مالك في (الموطأ) عن يحيى بن سعيد: أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة (يعني: الشام). فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدسُ الإنسانَ عملُهُ[٣].

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]»[٤].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٢)، ومسلم في الفتن (٢٩٣٨)، عن أبي سعيد.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٦٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٦٥)، عن أبي سعيد.
(٣) رواه مالك (٢٨٤٢)، تحقيق الأعظمي.
(٤) قصة المسيح صـ ٣٤ ـ ٣٥.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

طرف من أحاديث الدجال:

ونأخذ من كتاب العلامة الهندي الشيخ أنور الكشميري (التصريح بما تواتر من نزول المسيح)، ومن كتاب العلامة الشيخ الألباني (قصة المسيح الدجال) أهم ما فيهما من أحاديث بلغت بمجموعها درجة التواتر، كما أجمع على ذلك عدد من الأئمة الكبار.

من هذه الأحاديث:

ما رواه مسلم وغيره، عن هشام بن عامر، عن رسول الله ﷺ: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال**». وفي رواية: «**فتنة أكبر من فتنة الدجال**»[(١)]،[(٢)].

وعن عبد الله بن مغفَّل قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنةً أعظمَ من فتنة الدجال، وقد قلتُ فيه قولًا لم يقلْه أحد قبلي: إنه آدمُ جعدٌ، ممسوح عينِ اليسارِ، على عينه ظَفَرة غليظة، وإنه يُبرِئ الأكمهَ والأبرصَ، ويقول: أنا ربُّكم. فمن قال: ربي الله. فلا فتنة عليه، ومن قال: أنت ربِّي. فقد افتُتِن. يلبث فيكم ما شاء الله، ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدِّقًا بمحمد ﷺ، على مِلَّته، إمامًا مهديًّا، وحَكَمًا عدلًا، فيقتلُ الدجال**». فكان الحسن يقول: ونرى ذلك عند الساعة[(٣)].

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤٦).

(٢) رواه أحمد (١٦٢٦٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني (١٧٤/٢٢)، والحاكم في الفتن (٥٢٨/٤)، وصححه على شرط البخاري، وسكت عنه الذهبي.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥٠١): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف لا يضر.

QaradawiBooks.com

ولجملة العين شاهد من حديث أنس بلفظ: «**إن الدجال أعورُ العينِ الشمال، عليها ظَفَرة غليظة، مكتوبٌ بين عينيه**[١]: **كافر**»[٢].

ما رواه أحمد وابن حبان، عن حذيفة قال: ذُكِر الدجالُ عند رسول الله ﷺ فقال: «**لأَنَا لفتنة بعضكم أخوفُ عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحدٌ مما قبلها إلا نجا منها، وما صُنِعَتْ فتنةٌ منذ كانت الدنيا صغيرةٌ ولا كبيرة إلا لفتنة الدجال**»[٣].

ما رواه أحمد وعبد الرزاق، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، [لقد أنذره نوح قومه]، ولكني سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه: [تَعَلَّموا] أنه أعور، وإن الله ليس بأعور**»[٤].

وما رواه أحمد في مسنده، وابن منده، من طريق محمد بن زيد أبي عمر بن محمد قال: قال عبد الله: فذكره نحوه بلفظ: «**ما بعث الله من نبي إلا قد أنذره أمته، لقد أنذره نوح أمته، والنبيُّون عليهم الصلاة**

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله: والصحيح الذي عليه المحقِّقون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته، ولا امتناع في ذلك. شرح النووي على مسلم (١٨/٦٠).

(٢) رواه أحمد (١٢١٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والبزار (٦٦٣٥).

(٣) رواه أحمد (٢٣٣٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والبزار (٢٨٠٧)، وابن حبان في التاريخ (٦٨٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٤٩٨): رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٥٧)، ومسلم في الفتن (١٦٩)، كما رواه أحمد (٦٣٦٥)، وأبو داود في السنة (٤٧٥٧)، والترمذي في الفتن (٢٢٣٥).

QaradawiBooks.com

والسلام من بعده، ألا ما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور، ألا ما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور»[(١)].

ما رواه الشيخان وغيرهما، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: (ك. ف. ر) [يقرؤه كل مسلم]**»[(٢)].

ما رواه البزار، عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق يقول: «**يخرج أعورُ الدجالُ، مسيحُ الضلالة، قِبَل المشرق، في زمن اختلاف الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله أن يبلغ من الأرض، في أربعين يومًا، الله أعلم ما مقدارها، فيلقى المؤمنون شدة شديدة، ثم ينزل عيسى ابن مريم** عليه السلام **، من السماء، فيؤم الناسَ، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده. قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون**». فأحلِف أن رسول الله ﷺ أبا القاسم الصادق المصدوق قال: «**إنه لحقٌّ، وأمَا إنه قريب، فكل ما هو آتٍ قريب**»[(٣)].

والأحاديث المصرِّحة بخروجه كثيرة، سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى، لكن ليست فيها لفظ مؤكِّد كقوله: «لا محالة». أو: «إنه لحق». بل إن أحاديث الدجال كلها تؤكد خروجه، وحديثه ﷺ كله حق وصدق،

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٢)، وأحمد (٦١٨٥)، وابن منده في الإيمان (١٠٤٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣)، كلاهما في الفتن.

(٣) رواه البزار (٩٦٤٢)، وابن حبان (٦٨١٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥٤٣): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر، وهو ثقة. وقال الحافظ في الفتح (١٠٠/١٣): إسناده جيد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

سواء كان مقرونًا بصيغة من صيغ التأكيد أو لا، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

نعم روى الداني في (الفتن)، عن الحسن مرسلًا في عيسى عليه السلام: «وإنه نازل لا محالة، فإذا رأيتموه فاعرفوه»[(١)].

ما رواه مسلم وغيره، عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفَّض فيه ورفَّع[(٢)]، حتى ظننـــاه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدجَّـــال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنـــا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولستُ فيكم، فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شابٌّ قطط[(٣)]، عينه طافئة، كأني أشُـــبِّهه بعبد العُزَّى بن قَطَن، فمن أدركه منكم، فليقرأْ عليه فواتح سورة الكهف؛ [فإنها جواركم من فتنتـــه]، إنه خارجٌ خُلَّةً[(٤)] بين الشـــام والعراق، فعـــاث يمينًا، وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**». قلنا: يا رسول الله، وما لُبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا: يوم كســـنة، ويوم كشـــهر، ويوم كجمعة، وســـائر أيامه كأيامكم**». قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقـــدُروا له قدره**». قلنا: يا رســـول الله، وما إســـراعه في

(١) رواه الداني في السنن الواردة في الفتن (٦٨٤).

(٢) قال النووي: خفَّض بمعنى حقَّرَ، وقولـــه: رفَّعَ، أي عظَّمه وفَخَّمه. فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى: عوره، ومنه قوله ﷺ: «**هو أهون على الله من ذلك**»، وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره، ويقتَل بعد ذلك هو وأصحابه. ومن تفخيمه فتنتـــه والمحنة به هذه الأمور الخارقـــة للعادة، وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه. شـــرح النووي على مسلم (٦٣/١٨).

(٣) «قطط»: أي صاحب الشعر الشديد الجعودة. قال النووي: «شاب قطط»... أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة. شرح النووي على مسلم (٦٥/١٨).

(٤) أي: من طريق.

QaradawiBooks.com

الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطر، والأرضَ فتنبت، فتروح عليهم سارحتُهم[١] أطولَ ما كانت ذُرًا[٢]، وأسبغه ضروعًا، وأمدُّه خواصرَ، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردُّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيُصبِحون مُمْحِلين[٣] ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرُّ بالخَرِبة، فيقول لها: أَخرجي كنوزَك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلِئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين، رَمْيَة الغَرَضِ[٤]، ثم يدعوه، فيُقبل ويتهلَّل وجهُه يضحكُ، فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مَهْرُودَتَيْن[٥] واضعًا كفَّيْه على أجنحة مَلَكَين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ[٦]، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه، إلا مات، ونفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ[٧]، فيقتلُه، ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عِبَادًا لي، لا يدانِ لأحدٍ بقتالِهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. يبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بُحَيْرة

(١) أي: ماشيتهم.

(٢) أي: أعلى أسنمة.

(٣) الممحل: الذي أجدبت أرضه وقحطت وغلت أسعاره.

(٤) مقدار رمية السهم.

(٥) «مهرودتين»، روي بالدال وبالذال، مفردها: مهرودة، وهو الثوب الذي صبغ. والمعنى: أنه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم بالزعفران. النهاية في غريب الحديث مادة (هـ. ر. د).

(٦) جمان كاللؤلؤ: أي ينحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه. والجمان: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار. النهاية في غريب الحديث مادة (ج. م. ن).

(٧) بلدة غرب بيت المقدس، قرب الرملة.

QaradawiBooks.com

طبرية، فيشـــربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدِكم اليومَ، فيرغب نبي الله عيســى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَف[١] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[٢] كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيســى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شــبرٍ إلا ملأه زَهَمُهم[٣] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرســل الله طيرًا كأعناق البُخْت[٤]، فتحملهم فتطرحهم، حيث شاء الله، ثم يرســل الله مطرًا، لا يُكِنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبر[٥]، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٦]، ثم يقال لــلأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتك. فيومئذ تأكل العصابة من الرُّمَّانة، ويستظلون بقَحْفها[٧]، ويُبَارك في الرِّسْل[٨] حتى إن اللِّقْحَة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة مــن الغنم لتكفي الفَخِذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم،

---

(١) النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتهــا نغفة. النهاية في غريب الحديث مادة (ن. غ. ف).

(٢) أي: قتلى. المصدر السابق مادة (ف. ر. س).

(٣) أي: دسمهم وريحهم المنتنة، وأراد أن الأرض تنتن من جيفهم. المصدر السابق مادة (ز. هـ. م).

(٤) جمع بُخْتِيَّة، وَهِيَ جمالٌ طوالُ الأَعْناق. ومعنى كأعناق البخت: أعناقها كأعناقها.

(٥) المدر: بيت من الطين. والوبر: بيت من الشعر. والمراد: بيوت الحضر والبدو.

(٦) الزَّلَفة: بالتحريك جمعها زلف: مصانع الماء، أراد أن المطر يغدر في الأرض، فتصير كأنها مصنعة من مصانع الماء، وقيل: الزلفة: المرآة، شــبهها بها لاســتوائها ونظافتها. النهاية في غريب الحديث مادة (ز. ل. ف).

(٧) أي: قشرها، تشبيهًا بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ. وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. المصدر السابق مادة (ق. ح. ف).

(٨) الرِّسْل: بكسر الراء وإسكان الســين هو اللَّبَن، انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٦٩/١٨)، والنهاية في غريب الحديث مادة (ر. س. ل).

QaradawiBooks.com

فتقبض رُوحَ كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون[١] فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة»[٢].

ما رواه الحاكم وصحَّحه، عن جبير بن نفير، عن أبيه مرفوعًا، مثله دون قوله: قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض[٣]؟

ما رواه أحمد في (مسنده)، وابنه عبد الله في (السنة)، وابن حبان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**ما يبكيكِ؟**». قلتُ: يا رسول الله، ذكرتُ الدجَّال فبكيتُ. فقال رسول الله ﷺ: «**إن يخرج الدجَّال وأنا حيٌّ كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينةَ، فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نَقْب منها مَلَكان، فيخرج إليه أشرارُ أهلِها، حتى يأتي فلسطينَ؛ باب لُدٍّ، فينزل عيسى عليه السلام، فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا، وحَكَمًا مُقسِطًا**»[٤].

ما رواه ابن خزيمة، عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: ذكرتُ المسيح الدجَّال ليلةً، فلم يأتني النومُ، فلما أصبحتُ، دخلتُ على رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: «**لا تفعلي، فإنه إن يخرج وأنا حيٌّ يكفيكموه الله بي، وإن يخرج بعد أن أموت يكفيكموه الله بالصالحين**». ثم قال: «**ما من**

---

(١) أي: يجامَع الرجل المرأة أمامَ النَّاسِ ولا يَكْتَرِثونَ.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٣٧)، وأحمد (١٧٦٢٩).

(٣) رواه الحاكم في الفتن (٤٩٢/٤)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أحمد (٢٤٤٦٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابنه عبد الله في السنة (٩٩٦)، وابن حبان في التاريخ (٦٨٢٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥١٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة. وقال الألباني في قصة المسيح الدجال صـ ١٨: هذا إسناد صحيح.

QaradawiBooks.com

نبي، إلا وقد حذَّر أمته الدجَّال، وإني أحذِّرُكموه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور، إنه يمشـــي في الأرض، وإن الأرض والسماء لله، ألا إن المسيح عينُه اليُمنى كأنها عِنَبة طافية»[(١)].

ما رواه الشـــيخـان، عـــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رســـول الله ﷺ: «**ألا أحدِّثكم حديثًا عن الدجَّال ما حدَّث به نبـــي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقـــول: إنها الجنة. هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه**»[(٢)].

وعن عائشة مرفوعًا بلفظ: «**أما فتنة الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا قد حذَّر أمته، وسأحذِّركموه تحذيرًا لم يحذِّره نبي أمته: إنه أعور، والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن**»[(٣)].

وعن ابن عمر قال: قال رســـول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي قبلي، إلا وصفه لأمته، ولأصفنَّه صفة لم يصفها من كان قبلي: إنه أعور، والله تبارك وتعالى ليس بأعور، عينه اليُمنى كأنها عِنَبة طافية**»[(٤)].

---

(١) رواه ابن خزيمة فـــي التوحيـــد (١٠٣/١)، والطبراني (٢٦٨/٢٣)، وقال ابـــن كثير في البداية والنهاية (١٧٩/١٩): قال الذهبي: إسناده قوي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥٥٢): رواه الطبراني، ورجاله ثقات، إلا أن شيخ الطبراني أحمد بن محمد بن نافع الطحان لم أعرفه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٨)، ومسلم في الفتن (٢٩٣٦).

(٣) رواه أحمد (٢٥٠٨٩)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شرط الشيخين. وصحح إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٣٩٥).

(٤) رواه أحمد (٤٨٠٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٥٢/٢). والحديث في الصحيحين بنحوه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٣٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٩). قال الخطابي: كان هذا الحديث عندي من الواضح الذي يستغنى بظاهره عن تفسيره، وقد بقيتُ زمانًا أحســـبه أراد بالعنبة الطافية: الحبة من العنب، تطفو على متن الماء، وذلك لأن الحدقة العوراء القائمة في المقلة الناتئة من أشبه شيء بها، حتى أخبرني مخبر عن أبي عمر صاحبنا قال: ســـئل أبو العباس ثعلب عن هذا القول فقال: الطافية: العنبة التـــي خرجت عن حد نبتة أخواتها، فعَلَتْ ونتأت وظهرت، يقال. طفا الشـــيء: إذا علا وظهر. غريب الحديث (٦٦٧/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

QaradawiBooks.com

وما رواه أحمد وابنه وحسَّنه، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأصفِنَّ الدجَّال صفة لم يصفها من كان قبلي، إنه أعور، والله ﷻ ليس بأعور**»(١).

ما الحكمة من عدم ذكر الدجَّال في القرآن صراحة؟

أجاب عن ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله: «اشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر، وعظم الفتنة به، وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة، وأجيبُ بأجوبة:

أحدها: أنه ذُكر في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا**﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فقد أخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة رفعه: «**ثلاثة إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها**»(٢).

الثاني: قد وقعت الإشارة في القرآن إلى نزول عيسى ابن مريم في قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ**﴾ [النساء: ١٥٩]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ [الزخرف: ٦١]. وصحَّ أنه الذي يقتل الدجال، فاكتفي بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى، لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى.

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وعبد الله بن أحمد (٩٩٧)، والبزار (١١٠٨)، وأبو يعلى (٧٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٥٠٦): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه ابن إسحاق وهو مدلس.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٥٨)، وأحمد (٩٧٥٢)، والترمذي في التفسير (٣٠٧٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الثالث: أنه ترك ذكره احتقارًا. وتُعُقِّب بذكر يأجوج ومأجوج، وليست الفتنة بهم دون الفتنة بالدجال والذي قبله.

وتُعُقِّب بأن السؤال باق وهو: ما الحكمة في ترك التنصيص عليه؟

وأجاب شيخنا الإمام البلقيني بأنه اعتبر كل من ذُكر في القرآن من المفسدين، فوجد كل مَن ذُكر إنما هم ممن مضى وانقضى أمره، وأما من لم يجئ بعدُ، فلم يذكر منهم أحدًا»[1] انتهى.

حديث تميم الداري عن الدجَّال والجسّاسة:

كان الذي ترجح في ذهني بعد البحث في أشراط الساعة، وقضية الدجال: أن أُعرض عما رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ دون البخاري ـ في عدد من الأحاديث، عن الصحابي الجليل تميم الداري من أشياء فيها كثير من التضارب والتناقض، والاختلاف مع قضايا أخرى ثابتة عن طريق الدين، أو عن طريق العقل، أو عن طريق الواقع.

وكنتُ أجد في إعراضي عن هذا الكلام وما جاء فيه من تناقضات لي قدوة وسلفًا من صالحي هذه الأمة وعلمائها الربانيين، وأولهم وأهمهم: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، فهو لم يقبل أن يخرج في جامعه الصحيح حديث تميم الداري، وما فيه من غرائب، يقف عندها عقل المسلم الحصيف متحيِّرًا، وحماه الله تعالى في هذه القضية، كما حماه في قضايا أخرى كثيرة في هذا الباب وفي غيره.

وأظن أن مثلي إذا اقتدى بالبخاري في بعض مباحثه، فلن يوجِّه إليه أحد لومًا، فإذا كان من حق البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: أن يتوجس مرة أو مرتين،

(١) فتح الباري (٩١/١٣، ٩٢).

QaradawiBooks.com

فمن حقنا في عصرنا وقد توافرت فيه الشكوك، والقدرة على النقد، وفرض المستحيل، وغير ذلك: أن نتوجَّس مرات ومرات.

ولكن الإخوان من حولي حفظهم الله ـ أو كثير منهم ـ لم يكتفوا بهذا القول أو هذا الموقف، وقالوا: لماذا لا نخوض المعركة، كما خاضها مسلم ورجال الحديث من قبله ومن بعده؟ ولماذا لا نأخذ الصحيح ونترك السقيم؟ ولماذا لا نفرِّق بين المرويَّات، فليست كلها في مستوى واحد من الصحة والقبول، إلى آخر ما يقال هنا.

وقد راجعتُ أقوال العلماء من أهل التحقيق والترجيح من المصنفين من علماء الأمة من القدامى والمُحْدَثِين، فرأيتُ أن ما كتبه علامة عصره الشيخ محمد رشيد رضا، في تحقيق الموضوع وترجيحه، هو خير ما يحرص عليه طالب العلم الواعي، الذي لا يكتفي في هذا المقام بالقليل الذي يكفي، بل يطلب الكثير الذي يُشبع ويُغني ويَفيض.

ولهذا سننقل من تفسير المنار عن الشيخ رشيد ما يُغنينا عن إعادة البحث، فكل الصيد في جوف الفَرَا. يقول رحمه الله تعالى:

«١ ـ كان تميم الداري من عرب فلسطين (سورية)، وقد وُصِف بأنه كان راهب زمانه، وقد جاء هو وأخوه نعيم المدينة في آخر عهد النبي ﷺ سنة تسع من الهجرة وأسلما، وحدَّث هو النبي ﷺ بحكاية الجسَّاسة الغريبة، وذكروا أنه كان بعد إسلامه من العُبَّاد، ومن القصَّاصين، ولم يذكر لأحد شبهة فيه، بل عدُّوا من مناقبه أن النبي ﷺ روى عنه. وستعلم ما فيه، فهذه مقدمة.

QaradawiBooks.com

٢ ـ راوية الحديث عنه في صحيح مسلم بطوله ومشكلاته هي فاطمة بنت قيس من المهاجرات، وقالت: إنَّ النبي ﷺ جمع الناس في المسجد رجالًا ونساءً، وحدَّثهم على المنبر بما سمعه من تميم من هذه الحكاية. وقد رواه عنها الشعبي وحده، وهو على جلالته قد روى عن كثير من الصحابة الذين لم يرهم ولم يسمع منهم، ولكن المحدِّثين أثنوا على مراسيله، على أنه صرح بالسماع منها، وسيأتي من رواه غيرها وغيره.

٣ ـ من علل الحديث ـ إذن ـ أنه من الأحاديث التي تتوفَّر الدواعي على نقلها بالتواتر لغرابة موضوعه، ولاهتمام النبي ﷺ به، وجمعه الناس له، وتحديثه به على المنبر، واستدلاله بقول تميم على ما كان حدثهم به قبل إسلامه، ولسماع جمهور الصحابة له منه ﷺ، فمن غير المعقول ألَّا يُروى إلا آحاديًّا، ويؤيده امتناع البخاري عن إخراجه في صحيحه لشدة تحرِّيه، وقد أجاب الحافظ في (الفتح) عند شرح حديث جابر في ابن صياد من كتاب الاعتصام عن هذا الإعلال بقوله: ولشدة التباس الأمر في ذلك ـ أي الاختلاف بينه وبين حديث ابن صياد ـ سلك البخاري مسلك الترجيح، فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد، ولم يخرج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم، وقد توهَّم بعضهم أنه غريب فرد، وليس كذلك، فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر.

أما أبو هريرة، فأخرجه أحمد من رواية الشعبي عن المُحَرَّر بن أبي هريرة، عن أبيه بطوله، وأخرجه أبو داود مختصرًا، وابن ماجه عقب رواية الشعبي عن فاطمة، قال الشعبي: فلقيت المحرر فذكره. وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وأما حديث عائشة، فهو في الرواية المذكورة عن الشعبي، قال: ثم لقيتُ القاسم بن محمد، فقال: أشهد على عائشة حدثتني كما حدثَتْك فاطمة بنت قيس.

وأما حديث جابر، فأخرجه أبو داود بسند حسن، من رواية أبي سلمة عن جابر، وذكر لفظه.

أقول: إن ما ذكره الحافظ لا ينفي كون الحديث من الآحاد، والمقام مقام التواتر لما ذكرناه من أسباب توفُّر الدواعي، ولا ينفي أيضًا كونه غريبًا أيضًا، وإن لم يكن فردًا، فقد انحصرت الأسانيد لروايته في الشعبي، وفي فاطمة بنت قيس، وأما ما رواه أبو داود من طريق الوليد بن عبد الله بن جُميع عن ابن أبي سلمة، عن جابر، فهو ـ على كونه ليس من الصحيح ـ مختصر، وليس فيه إسناد الحكاية إلى تميم الداري، بل لا يزيد لفظ المرفوع فيه عن هذه الجملة: بينما أناس يسيرون في البحر، فنفد طعامهم، فرفعت لهم جزيرة، فخرجوا يريدون الخبز، فلقِيَتْهم الجسَّاسة. قال أبو الوليد بن عبد الله: فقلت لأبي سلمة: وما الجسَّاسة؟ قال: امرأةٌ تجر شعر جلدها ورأسها. قالت: في هذا القصر ـ فذكر الحديث ـ وسأل عن نخل بَيْسان[1]، وعن عين زُغَر[2]، قال: هو المسيح. فقال لي ابن أبي سلمة: إن في هذا الحديث شيئًا ما حفظته، قال: شهد

(١) بَيْسان: مدينة بالأردن، بين حوران وفلسطين، وتوصف بكثرة النخل، تبعد عن القدس (١٢٧) كم، وقد هدمها اليهود وأقاموا مكانها مستعمرة. انظر: معجم البلدان (٥٢٧/١)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة لمحمد بن محمد حسن شُرَّاب صـ ٦٨، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١١هـ.

(٢) عين زُغَر: قرية بمشارف الشام. قيل: إن زغر اسم بنت لوط عليه السلام، نزلت بهذه القرية، فسُمِّيَتْ باسمها، وعين زغر تغور في آخر الزمان، وهي من علامات القيامة. معجم البلدان (١٤٣/٤).

QaradawiBooks.com

جابر أنه هو ابن صائد وفي نسخة ـ ابن صياد ـ فقلت: إنه قد مات. قال: وإن مات. قلت: فإنه قد أسلم. قال: وإن أسلم. قلت: فإنه قد دخل المدينة. قال: وإن دخل المدينة. اهـ سياق أبي داود بحروفه.

أقول: وهو لا يقوِّي تلك الروايات، وليس فيه شيء من مشكلاتها المعنوية وغرائبها، بل قواه الحافظ بها، فجعله حسنًا لأجلها، وهو يعلم أن الوليد بن عبد الله بن جُميْع (بالتصغير) الزُّهري راويه عن أبي سلمة ضعيف، وإن روى عنه مسلم، فقد قال هو نفسه (أي الحافظ ابن حجر) في (تهذيب التهذيب) فيما زاده على أصله: إن ابن حبان ذكره في الضعفاء. وقال: إنه ينفرد عن الأثبات بما لا يشبه حديث الثقات، فلما فحش ذلك منه بطل الاحتجاج به، وذكر عن الحاكم أنه لو لم يخرج له مسلم لكان أولى. اهـ.

وفي رواية أبي داود، عن فاطمة مخالفة لرواية مسلم من وجه آخر، لا غرض لنا في ذكرها: إذ لا نريد استقصاء كل ما في هذه الأحاديث من التعارض والخلاف.

٤، ٥ ـ من الإشكال المعنوي في هذه الحكاية أن تميمًا وأصحابه الثلاثين كانوا من عرب الشام، والمتبادر: أنهم ركبوا سفينتهم من بعض ثغورهم في البحر المتوسط، وقد ذكرت فاطمة بنت قيس أن النبي ﷺ قال بعد أن سرد للناس الحكاية: «**فإنه أعجبني حديث تميم: أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم به عنه ـ أي الدجال ـ وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام، أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق. ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو؟**». وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظتُ هذه من حديث رسول الله ﷺ. اهـ.

QaradawiBooks.com

فإن صح الحديث رواية، فهذا التردد من النبي ﷺ في مكان الجزيرة التي ذكرها تميم الداري في أي البحرين هي؟ ثم إضرابه عنهما، وجزمه بأنه في جهة المشـرق.. إلخ إشـكال آخر في متنه ينظـر إلى اختلاف الروايات الأخرى في مكان الدجال بعين، وينظر إلى اختلاف الروايات في ابن صياد بالعيـن الأخرى، وينظر بالعينين كلتيهما إلى سـبب هذا التردد ومنافاته: لأن يكون كلامه صلوات الله وسلامه عليه في أمر الدجال عن وحي من الله تعالى، وسأتكلم في سـببه في هذا البحث على تقدير صحة الرواية.

ثم أين هذه الجزيرة التي رفأ إليها تميم وأصحابه في سفينتهم؟ إنها في بحر الشام أو بحر اليمن كما في اللفظ المرفوع ـ إن صح الحديث ـ أي الجهة المقابلة لسـواحل سـورية مـن البحر المتوسـط، أو الجهة المجاورة لشواطئ اليمن من البحر الأحمر، وكل من البَحْرين قد مسحه البحَّارة في هذه الأزمنة مسحًا، وجابوا سطحهما طولًا وعرضًا، وقاسوا مياههما عمقًا عمقًا، وعرفوا جزائرهما فردًا فـردًا، فلو كان في أحدهما جزيرة فيها دَير أو قصر حُبس فيه الدجال، وله جسَّاسة فيها تقابل الناس، وتنقل إليـه الأخبـار، لعرف ذلـك كلَّه كلُّ النـاس، وما قاله شـارح (المشـارق) من تنقل الدجال في البحرين، أو من الجانب الشامي إلى الجانب اليمنـي، بناء على زعمه أن البحر واحـد، وما قاله الحافظ من انتقاله إلى أصفهان؛ ليخرج منها مع سبعين ألفًا من يهودها؛ كلاهما من الدعاوى التـي لا أصل لها من النقل، ولا مـن المقبول في نظر العقل، وإنما يسـتنبطونها للجمع بين الروايات المتعارضـة التي يعز عليهم أن يرجعوها إلى قاعدتهم (تعارضت فتسـاقطت)، حتـى إن الحافظ رَضِي لنفسـه في هذا المجمع أن يقر قول من قال: إن ابن صياد شيطان تبدَّى

QaradawiBooks.com

في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن ذهب إلى أصفهان، إلخ. وهو يحفظ تلك الروايات الكثيرة في ولادته بالمدينة ونشوئه فيها، ثم إسلامه وحجه، ثم موته فيها، على أنه يحفظ بعض الروايات المضعِّفة لهذا.

٦ ـ في الألفاظ المرفوعة من حكاية الجساسة أن النبي ﷺ لم يُقرَّ تميمًا على كل ما حكاه، بل على بعضه، وهو قوله: «**فإنه أعجبني من حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم به عنه (أي عن الدجال) وعن المدينة ومكة**». أي: أنه لا يدخلهما. وقوله بعده: «**ألا إنه في بحر الشام أو اليمن، لا بل مِنْ قِبَل المشرق..**» إلى آخر ما تقدم آنفًا، وترجيح جميع العلماء روايات جهة المشرق دليل على أنه ليس في بحر الشام، ولا بحر اليمن: لأن الشام من جهة الشمال من المدينة، واليمن في جهة الجنوب منها، فلا شيء منهما بالمشرق.

قال الطيبي: لما تيقَّن عليه السلام بالوحي أنه من قبل المشرق نفى الأوَّلين، وظاهر العبارة يدل على أن النبي ﷺ صدَّق تميمًا في أول الأمر: ولذلك قال: «**ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن**» بالتأكيد بـ(إن)، والبدء بأداة الاستفتاح (ألا)، ثم كوشف في موقفه بأنه ليس في هذا ولا ذاك، بل في جهة المشرق.

٧ ـ هاهنا يجيء إشكال آخر، وهو أن نفيَ النبي ﷺ لبعض قول تميم يبطل الثقة به كله، ويحصر عجبه ﷺ في شيء واحد منه لا يُعرف بالرأي، وهو موافقته لما سبق إخباره به ﷺ من ظهور الدجال، وكونه لا يدخل مكة ولا المدينة. وإن بقي الإعجاب مما ذكر منه في محله، وقد يتفَصَّون [أي: يتخلصون] من هذا بأن الدجال كان قبل إسلام تميم، وحديثه قد خرج من تلك الجزيرة التي رآه فيها، فذهب إلى أصبهان أو

QaradawiBooks.com

غيرها من المشرق، ويردُّه أن ما نقله عنه تميم صريح فيما ينافي ذلك، وهو أن وثاقه الشديد إنما يحل عند الإذن له في الخروج، وأنه صار قريبًا بعد ظهور العلامات التي ذكرها، قال: «إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة؛ فهما محرمتان عليَّ..» إلخ. فعطفه الخروج على الإذن بـ(الفاء) والسير على الخروج بـ(الفاء) نص في أنهما على التعقيب، لا فاصل بين هذه وتلك، والأقرب إلى الخروج من كل هذه المشكلات أن تكون الرواية مصنوعة.

٨ ـ ننتقل من هذا المبحث إلى مبحث قوي الصلة به، وهو إذا لم نَعُدَّ ما فيه من نفي النبي ﷺ لما أثبته تميم من وجود الدجَّال في أحد البحرين ـ وفاقًا للعلامة الطيبي الشهير ـ فهل يجب أن تكون حكايته ﷺ لما حدَّثه به تميم تصديقًا له؟ وهل كان ﷺ معصومًا من تصديق كل كاذب في خبر، فيُعد تصديقه لحكاية تميم دليلًا على صدقه فيها؟ ويُعَدّ ما يَرِد عليها من إشكال واردًا على حديث له حكم المرفوع، وفي معناه إقراره ﷺ لعمر على حلفه بأن ابن صياد هو الدجال، كما تقدم.

إن ما قالوه في العصمة لا يدخل فيه هذا؛ فالمجمع عليه هو العصمة في التبليغ عن الله تعالى، وعن تعمُّد عصيانه بعد النبوة.

قال السفاريني في شرح عقيدته: قال ابن حمدان في (نهاية المبتدئين): وإنهم معصومون فيما يؤدُّون عن الله تعالى، وليسوا معصومين في غير ذلك[1]. وقال ابن عقيل في (الإرشاد): إنهم عليهم السلام لم يعصموا في الأفعال، بل في نفس الأداء. قال: ولا يجوز عليهم الكذب

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٣٠٤/٢).

QaradawiBooks.com

في الأقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى. وقال الحافظ العراقي: النبي ﷺ معصوم من تعمُّد الذنب بعد النبوة بالإجماع، ولا يُعتدُّ بخلاف بعض الخوارج والحشوية الذين نقل عنهم تجويز ذلك.. إلخ. انتهى ملخَّصًا[1].

وتصديق الكاذب لا يعد ذنبًا، وقد ثبت أنه ﷺ كان يصدِّق بعض ما يفتري به المنافقون، حتى يخبره الله بما كان من المصلحة إخباره به منه، كما وقع في غزوة تبوك وغيرها، وصدَّق بعض أزواجه في القصة المشار إليها في سورة التحريم، حتى أخبره تعالى به، وبأن من أسرَّ إليها الحديث أفشته، وذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، وتردَّد في حديث أهل الإفك، وضاق صدره زمنًا حتى نزلت عليه آيات البراءة المكذِّبة لهم في سورة النور.

فعلى هذا لا يكون ذكره ﷺ لقصة تميم في حكم المرفوع الذي يقوله هو ﷺ، كما أن ما يقوله ﷺ برأيه وظنه لا يدخل في عموم ما هو معصوم منه، وهو تعمُّد الكذب، كما قال ﷺ في مسألة تلقيح النخل: «**إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به، فإني لن أكذب على الله**»[2]. وقال فيها أيضًا: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي، فإنما أنا بشر**»[3]. رواهما مسلم في صحيحه.

وقال المحقق ابن دقيق العيد في مسألة تقريره ﷺ، من أوائل (شرح الإلمام): إذا أُخْبِر في حضرة النبي ﷺ عن أمر ليس فيه حكم شرعي،

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٣٠٤/٢).
(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦١)، وأحمد (١٣٩٥)..
(٣) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٦٢).

QaradawiBooks.com

فهل يكون سكوته ﷺ دليلًا على مطابقة ما في الواقع، كما وقع لعمر في حلفه على أن ابن صياد هو الدجال، فلم ينكر عليه، فهل يدل عدم إنكاره على أن ابـن صياد هو الدجال كما فهمه جابـر حتى صار يحلف عليه، ويستند إلى حلف عمر، أو لا يدل؟ فيه نظر. والأقرب عندي أنه لا يدل؛ لأن مأخذ المسـألة ومناطها هو العصمة من التقريـر على باطل، وذلك يتوقَّف على تحقق البطلان، ولا يكفي فيه عـدم تحقق الصحة، إلخ[١]. نقله عنه الحافظ في الفتح ملخصًا[٢].

٩ ـ أن في روايات هذه الحكاية اختلافات أخرى، كقوله في أطولها عن تميم: «**إنه ركب سـفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا مـن لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرَفَؤُوا إلى جزيرة في البحر، حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة**». وقوله في رواية أخرى: «**حدثني تميم الداري أن أناسًا من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم، فانكسرت بهم، فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة، فخرجوا إلى سـفينة في البحر**». وفي رواية: «**إن بنـي عم تميم الداري ركبوا في البحر**». وفي رواية: «**إنه ركب البحر، فتاهت به سفينة، فسقط إلى جزيرة، فخرج إليها يلتمس الماء، فلقي إنسـانًا يجر شعره**». وهذه الروايات كلها في صحيح مسلم[٣]، والاختلافات فيها متعددة كما ترى، وفي سائر الروايات ما يزيد على ذلك.

---

(١) راجع: شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد (٩٧/١، ٩٨)، تحقيق محمد خلوف العبد الله، نشر دار النوادر، سوريا، ط٢، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢) انظر: فتح الباري (٣٢٧/١٣).

(٣) رواها مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٢) (١٩ ـ ٢٢)، عن فاطمة بنت قيس.

QaradawiBooks.com

وجملة القول في حديث الجساسة: أن ما فيه من العلل والاختلاف والإشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع، وأنه على تقدير صحته ليس لـه كله حكم المرفـوع، وكذا يقال في سـائر أحاديـث الدجَّال المشكلة، التي انتقدها الحافظ في (الفتح) من جهة صناعة علم أصول الحديث، وتعارض المتون، أو مخالفتها للواقع. وعدَّ من علل بعضها احتمال كونها من الإسرائيليات، فقد ذكر ما أخرجه نعيم بن حماد شيخ البخاري فـي (كتاب الفتن) من طريق جبير بن نفير وشـريح بن عبيد وعمرو بن الأسود وكثير بن مرة، قالوا جميعًا: الدجال ليس هو بإنسان، وإنما هو شيطان موثق بسـبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يُعلم من أوثقه: سـليمان النبي أو غيره؟ فإذا آن ظهوره فك الله عنه كل عام حلقة، فإذا برز أتته أتان، عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعًا، فيضع على ظهرها منبرًا من نحاس، ويقعد عليه، ويتبعـه قبائل الجنِّ يُخرجون له خزائن الأرض[١].

قال الحافظ بعد إيراد هذا: قلـتُ: ولا يمكن معه كون ابن صياد هو الدجال، ولعل هؤلاء مع كونهم ثقات تلقَّـوْا ذلك من بعض كتب أهل الكتاب. وأخرج نعيم أيضًا من طريق كعب الأحبار أن الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر. قال: وبين مولده ومخرجه ثلاثون سنة. قال: ولم ينزل خبره في التوراة والإنجيل، وإنما هو في بعض كتب الأنبياء[٢] اهـ.

وأخلِق بهذا الخبر أن يكون باطلًا؛ فإن الحديث الصحيح أن كل نبي قبـل نبينا أنذر قومه الدجـال، وكونه يولد قبـل مخرجه بالمدة

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٥٢٥).
(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن (١٥٢٦).

QaradawiBooks.com

المذكورة مخالف لكونه ابن صياد، ولكونه موثقًا في جزيرة من جزائر البحر. اهـ المراد من قول الحافظ وهو في شرح كتاب الاعتصام من (الفتح)[١].

ومنه يُعلـم أن الحافظ لم يسـلَمْ من ضرب بعض هـذه الروايات المضطربة المتعارضة المتنافرة ببعض، وبأنه يعد احتمال الأخذ عن أهل الكتاب علة صحيحة لرد روايـات الثقات، ولو فيما لا مجال للعقل ولا للرأي فيه، خلافًا لما زعمه الزُّرقاني وتمسك به بعض أنصار الخرافات، فعدُّوه مما له حكم المرفوع.

ومنه يعلم أيضًا أن يد بطل هذه الإسرائيليات الأكبر كعب الأحبار قد لعبت لعبها في مسـألة الدجال (في كل واد أثر من ثعلبة)، وقول كعب: إن ما ذكره مـن ولادة الدجال بقـوص في كتب بعـض الأنبياء كذب وافتراء.

وهناك روايات أخرى عنه، منها: ما نقله الحافظ في شرح كتاب الفتن عن نعيم بن حماد في كتابه المذكور عنه قال (أي كعب): يتوجَّه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي، ثم يُلتمس، فلا يُقدر عليه، ثم يُرى عند المياه التي عند نهر الكسـوة، ثم يُطْلَب فلا يُـدرى أين توجَّه، ثم يظهر بالمشـرق، فيُعطى الخلافة، ثم يُظهِر السـحر، ثم يدَّعي النبوة، فتتفرق الناس عنه، فيأتي النهر، فيأمره أن يسـيل فيسـيل، ثـم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس، ويأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا، فينتطحا، ويأمر الريح أن تثير سحابًا من البحر فتمطر الأرض، ويخوض

(١) فتح الباري (٣٢٨/١٣).

QaradawiBooks.com

البحر في كل يوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر، فتبلغ قعره، فيخرج من الحيتان ما يريد[١] اهـ.

بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين، ليفسد عليهم دينهم وسُنَّتهم، وخدع به الناس لإظهار التقوى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجملة أخبار الدجال قالوا: إنها متواترة، يعنون التواتر المعنوي، وهو أن لها أصلًا، وإن لم يتواتر شيء من رواياتها. ويدل القدر المشترك منها على أن النبي ﷺ كُشِف له وتمثَّل له ظهور دجال في آخر الزمان، يُظهر للناس خوارق كثيرة، وغرائب يفتتن بها خلق كثير، وأنه من اليهود، وأن المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود في هذه البلاد المقدسة، وينتصرون عليهم، وقد كشف له ذلك مجملًا غير مفصَّل، ولا بوحي عن الله تعالى ـ كما كشف له غير ذلك من الفتن ـ فذكره، فتناقله الرواة بالمعنى، فأخطأ كثير منهم، وتعمَّد الذين كانوا يثبتون الإسرائيليات الدسَّ في رواياته، ولا يبعُد أن يقوم طلاب المُلْك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى، يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك، والله أعلم»[٢].

* * *

(١) الفتن لنعيم بن حماد (١٥٢٦)، وفتح الباري لابن حجر (٩٢/١٣).
(٢) تفسير المنار (٤١٠/٩ ـ ٤١٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

من أشراط الســاعة وعلاماتها الكبرى، ومن المبشرات التي صحت بها الســنة المحمدية: نزول المسيح عيســى ابن مريم في آخر الزمان، خليفة لمحمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين، حاكمًا بشريعة الإسلام، وأنه يقتل المسيح الدجال.

وقد أشــار القرآن الكريم إلــى نزوله بقوله تعالــى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. على تفســير من فســر هاء الصلة في (موته) بعيســى، يعني: أنّ جميع طوائف أهل الكتاب يصدِّقون به إذا نزل لقتل الدجّال، فتصير الملل كلها واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفيَّة.

وقولــه تعالــى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخــرف: ٦١]، وقــرئ (لَعَلَم) بالتحريك، أي أمارة ودليل على اقتراب الســاعة؛ وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه.

وقد اســتفاضت الأحاديث عن رســول الله ﷺ بنزوله عليه السلام استفاضة بلغت حد التواتر.

ذكر الأحاديث الواردة في نزول عيســى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة، وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له:

قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا

QaradawiBooks.com

﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: «قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب ذكر الأنبياء من صحيحه المتلقَّى بالقَبول: نزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبي صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب[(١)]، ويقتل الخنزير[(٢)]، ويضع الجزية[(٣)]، ويَفيض المالُ، حتى لا يقبله أحد، وحتى تكون السجدة خيرًا لهم من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩][(٤)].

ورواه مسلم، وأخرجه الشيخان من طرق متعددة.

ورواه ابن مردويه بنحوه، وزاد في آخره كلام أبي هريرة: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾: موت عيسى ابن مريم. ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

---

(١) يكسر الصليب: أي يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، والصليب رمز لعقيدة صلب المسيح عند النصارى، ليخلص البشرية من الخطيئة. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

(٢) قال الحافظ في الفتح (٤١٤/٤): أي: يأمر بإعدام الخنزير مبالغة في تحريم أكله. وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدَّعون أنهم على طريقة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يستحلون أكل الخنزير، ويبالغون في محبته.

(٣) معنى يضع الجزية: أي يتركها ويُسقطها؛ لأنه لن يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويدخل في الإسلام بعد نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلا يبقى أحد من أهل الذمة ليؤدي الجزية. قال الحافظ في الفتح (٣٥٦/٦): ويؤيده أن عند الإمام أحمد من وجه آخر عن أبي هريرة: وتكون الدعوى ـ أي الملة ـ واحدة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٢)، وأحاديث الأنبياء (٣٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٥٥).

QaradawiBooks.com

وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيُهِلَّن عيسى بفَجِّ الرَّوْحاء بالحج أو العمرة، أو ليثنِّينهما جميعًا**». ورواه مسلم[١].

وروى أحمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتُجمع له الصلاة، ويُعطي المال حتى لا يُقْبَل، ويضع الخراج، وينزل الروحاء، فيحجُّ منها، أو يعتمر، أو يجمعهما**». قال: وتلا أبو هريرة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية. فزعم حنظلة: أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى. فلا أدري: هذا كله حديث النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة؟ ورواه ابن أبي حاتم[٢].

وروى البخاري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم، وإمامُكم منكم؟**»[٣]. ورواه الإمام أحمد ومسلم.

وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء إخوة لِعَلَّات[٤]، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل**

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٢٥٢)، وأحمد (٧٢٧٣).

(٢) رواه أحمد (٧٩٠٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن أبي حاتم في تفسيره (٦٢٤٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٥٥)، كما رواه أحمد (٧٦٨٠).

(٤) العلات: جمع علة. والعلة هي الضرة. والمراد: الإخوة من أمهات مختلفة وأبوهم واحد. والمراد: أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. النهاية في غريب الحديث مادة (ع. ل. ل).

QaradawiBooks.com

مربوع إلى الحُمرة والبياض، عليه ثوبان ممصَّران[١]، وكأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بَلَل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهلك الله في زمانه المِلَل كلَّها إلا الإسلام، ويُهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأَمَنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيَّات، لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة[٢]، ثم يُتَوَفَّى، ويصلِّي عليه المسلمون»[٣]. ورواه أبو داود، وابن جرير ولم يورد عند هذه الآية سواه.

وروى البخاري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[٤].

---

(١) الممصَّران: تثنية ممصر، والممصر من الثياب الذي فيه صفرة خفيفة. النهاية لابن الأثير مادة (م. ص. ر).

(٢) اختلفت الروايات في مدة بقاء عيسى عليه السلام، إذا نزل بين سبع سنين، وأربعين عامًا، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون. وقد جمع ابن كثير بين الروايتين فقال: وقع في الحديث: أنه يمكث أربعين سنة. وثبت في صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين. فهذا مع هذا مشكل، اللهم إلا إذا حملت هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله، وتكون مضافة إلى مدة مكثه فيها قبل رفعه إلى السماء، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور، والله أعلم. البداية والنهاية (٢٣٠/١٩، ٢٣١).
وقد عارض السفاريني هذا الجمع، فقال في لوامع الأنوار البهية (٩٩/٢): وهذا ـ والله أعلم ـ ليس بشيء، لما مر من حديث عائشة عند الإمام أحمد وغيره: «فيقتل الدجال، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة». ثم حكى عن البيهقي أنه اعتمد رواية «أربعين»، كما نقل عن السيوطي أنه ذهب إلى ترجيحها؛ لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر ويقدمونها على رواية الأقل لما معها من زيادة العلم، ولأنه مثبت، والمثبت مقدم.

(٣) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الملاحم (٤٣٢٤)، والطبري في تفسيره (٣٨٨/٩)، وابن حبان في التاريخ (٦٨١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٦٥).

QaradawiBooks.com

وروى مسلم، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق ـ أو بدابق[١] ـ فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا، قالت الروم: خلُّوا بيننا وبين الذين سُبُوا[٢] منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم، فيُهزَم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويُقتَل ثلثٌ هم أفضل الشهداء عند الله، ويَفتَح الثلثُ لا يُفتَنون أبدًا، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقسمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذْ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلَفكم في أهليكم. فيخرجون، وذلك باطل. فإذا جاؤوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال: يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فيؤمُّهم، فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوب المِلْحُ في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتلُه الله بيده، فيُريهم دمَه في حَرْبته**»[٣].

وروى مسلم، عن النوَّاس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجَّال ذات غداة، فخفَّض فيه ورفَّع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**». قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة، فخفَّضت فيه ورفَّعت، حتى ظنناه في طائفة النخل. قال: «**غيرُ الدجال أخوَفُني عليكم! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجيجُه دونكم، وإن يخرُجْ ولست فيكم، فامرؤٌ حَجيجُ نفسه، واللهُ خليفتي على كل مسلم: إنه شابٌّ قَطَطٌ، عينُه طافية، كأني أشبِّهه بعبد العُزَّى بنِ قَطَن،**

(١) موضعان قرب حلب.

(٢) رُوِي على وجهين: فتح السين والباء، وضمهما. شرح النووي على مسلم (٢١/١٨).

(٣) سبق تخريجه صـ ٧١.

QaradawiBooks.com

فعاث يمينًا، وعاث شمالًا. يا عباد الله، فاثبتوا». قلنا: يا رسول الله، وما لُبْثُه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائر أيامِه كأيامكم**». قلنا: يا رسول الله، وذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدُروا له قدْرَه**». قلنا: يا رسول الله، وما إسراعُه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرتْه الريح، فيأتي على قوم فيدعُوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتُنْبِت، فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرًى، وأسبغه ضُروعًا، وأمدُّه خواصرَ، ثم يأتي القوم، فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم. فيصبحون مُمْحِلين، ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرُّ بالخَرِبَة فيقول لها: أخرجي كنوزَك. فتتبعه بكنوزها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جَزْلتين رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثم يدعوه، فيُقْبلُ ويتهلل وجهه ويضحك. فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيَّ دِمَشْق، بين مَهْرودَتَيْن، واضعًا كفيه على أجنحة مَلَكين، إذا طأطأ رأسه قَطَر، وإذا رفعه تَحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، ولا يَحل لكافر يجد رِيحَ نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ، فيقتله.**

ثم يأتي عيسى ابن مريم عليه السلام قومًا قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك، إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادًا لي لا يَدَان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَب ينْسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طَبَرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مَرةً ماء.

QaradawiBooks.com

ويُحْصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى، كموتِ نفسٍ واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زَهَمُهُمْ ونَتْنُهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْت، فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطرًا لا يُكِنُّ منه بيت مَدَر ولا وَبَر، فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلَفَة، ثم يقال للأرض: أخرجي ثَمَرَك، ورُدِّي بركتك. فيومئذ تأكل العِصَابة من الرمَّانة، ويستظلون بقَحْفِها، ويبارك الله في الرِّسْل، حتى إن اللِّقْحَة من الإبل لتكفي الفِئَام، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطِهم، فيقبض الله رُوحَ كلِّ مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرارُ الناس يَتَهَارَجُون فيها تهارُجَ الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة»[1]. ورواه الإمام أحمد وأهل السنن.

وروى مسلم، عن عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله! ـ أو: لا إله إلا الله! أو كلمة نحوها ـ لقد هممتُ ألا أحدِّث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلتُ: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يُحرق البيتُ، ويكون، ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، لا أدري يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم، كأنه عُروة بن مسعود، فيطلبه، فيُهلكه، ثم يمكث الناس سبعَ سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا**

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٦.

QaradawiBooks.com

باردة من قِبَل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من خير ـ أو إيمان ـ إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كَبَد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه». قال: سمعتها من رسول الله ﷺ. قال: «**فيبقى شرار الناس، في خفَّة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسنٌ عَيْشُهم. ثم يُنفخ في الصُّورِ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا**»[(١)]. قال: «**وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوض إبله**». قال: «**فيَصْعَقُ ويَصعَقُ الناس. ثم يرسل الله ـ أو قال: ينزل الله ـ مطرًا كأنه الطَّلُّ ـ أو قال: الظل ـ فتنبت منه أجساد الناس، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾** [الزمر: ٦٨]. **ثم يقال: يا أيها الناس، هلمُّوا إلى ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾** [الصافات: ٢٤]. **ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعةً وتسعين**». قال: فذلك يوم **﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾** [المزمل: ١٧]. وذلك **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** [القلم: ٤٢][(٢)]. ورواه النسائي في تفسيره.

وروى الإمام أحمد، عن مُجَمِّع بن جارية، قال: سمعت رسول الله ﷺ: يقول: «**يقتل ابنُ مريم المسيحَ الدجالَ بباب لُدٍّ**». أو: «**إلى جانب لُدٍّ**»[(٣)].

وعن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة، عن عبد الرحمٰن بن يزيد، عن عمه مُجمِّع بن جارية، عن رسول الله ﷺ قال: «**يقتل ابنُ مريم الدجالَ**

(١) الليت: صفحة العنق. والإصغاء: الإمالة. والمعنى: أمال صفحة عنقه خوفًا ودهشة.

(٢) رواه مسلم في الحج (٢٩٤٠)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٦٢٩).

(٣) رواه أحمد (١٥٤٦٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره.

QaradawiBooks.com

بباب لُدٍّ»[١]. ورواه الترمذي، وقال: هذا حديث صحيح. قال: وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبي بَرْزَة، وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة، وكَيْسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أُمامة، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وسَمُرة بن جُنْدب، والنوَّاس بن سمعان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليمان، رضي الله عنهم.

وُمراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام له، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدًّا، وهي أكثر من أن تُحصى، لانتشارها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك.

وروى الإمام أحمد، عن حذيفة بن أَسِيد الغِفَاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفةَ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**لا تقوم الساعة حتى تَرَوْا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدُّخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خَسْفٌ بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. ونار تخرج من قعر عَدَن، تسوق ـ أو تحشر ـ الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقيل معهم حيث قالوا**». ورواه مسلم وأهل السنن[٢].

فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنوَّاس بن سَمْعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومُجمِّع بن جارية، وأبي سَرِيحة، وحُذَيفة بن أَسِيد رضي الله عنهم. وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه، من أنه بالشام،

---

(١) رواه أحمد (١٥٤٦٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي في الفتن (٢٢٤٤)، وصححه، وابن حبان في التاريخ (٦٨١١).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١)، وأحمد (١٦١٤١)، وأبو داود في الملاحم (٤٣١١)، والترمذي في الفتن (٢١٨٣).

QaradawiBooks.com

بل بدمشق، عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح. وقد بُنِيَت في هـذه الأعصار، في سـنة إحدى وأربعين وسـبعمائة منارة للجامع الأمويِّ بيضاء، من حجارة منحوتة، عِوَضًا عن المنارة التي هُدِمَتْ بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وكان أكثر عمارتها من أموالهم، وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك، وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شـبههم من أنفسهم؛ ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام مُتَابَعَة لعيسـى عليه السلام، وعلى يديه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وهذه الآية كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخـرف: ٦١]، وقرئ (لَعَلَم) بالتحريك، أي أمارة ودليل على اقتراب السـاعة؛ وذلك لأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال، فيقتله الله على يديه، ويبعث الله في أيامه يأجوج ومأجوج، فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائـه، وقد قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ..﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال قتادة: يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسـالة من الله، وأقر بالعبودية لله عز وجل، وهذا كقوله تعالى في آخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ...﴾ إلى قوله: ﴿...ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٨]»[1] اهـ.

(١) تفسير ابن كثير (٤٥٥/٢ ـ ٤٦٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

حكم إنكار ظهور المسيح الدجال أو تأويله تأويلًا منكرًا أو إنكار نزول عيسى ابن مريم

ومما يرفض إسلاميًّا في هذا المقام: إنكار ظهور المسيح الدجال، ورد الأحاديث الصحاح المتَّفَق عليها التي جاءت عن الصحابة ﷺ، مرفوعة إلى النبي ﷺ، وقد أعلن المحققون من العلماء ـ وخصوصًا علماء الحديث ـ أن هناك أربعين حديثًا ما بين صحيح وحسن، تُثبت ظهور الدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، كما فعل مثل ذلك العلامة الهندي الشيخ أنور الكشميري، الذي سماه الهنود: محدَّث العصر، في كتابه الذي سماه: «التصريح بما تواتر في نزول المسيح».

وقد ردَدنا على سائل يقول: قرأتُ للدكتور حسن الترابي إنكاره نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، وقتله للدجال، فما رأي فضيلتكم؟

فكان الجواب:

نزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى، وهذا أمر ثبت بالسنة الشريفة، وقد جمع الشيخ أنور الكشميري ـ وهو من علماء الحديث الكبار ـ في هذا كتابًا سمّاه «التصريح بما تواتر في نزول المسيح»، أي: بما تواتر من الأحاديث في نزول المسيح، ذكر فيه أربعين حديثًا ما بين صحيح وحسن، غير الأحاديث الضعيفة الأخرى التي هي عشرات وعشرات، ولا يسعنا أن نلقي هذه الأحاديث في سلة المهملات!! وقد حقَّق هذا الكتاب وأفاض في التعليق عليه أخونا وصديقنا العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، من علماء سوريا المعروفين، ومن محدِّثي العصر أيضًا.

QaradawiBooks.com

والأديان الثلاثة تنتظر المسيح، اليهود ينتظرون نزول المسيح؛ لأنهم لا يؤمنون بالمسيح الحقيقي، وتآمروا على صلبه وقتله، والمسيحيون ينتظرون عودة المسيح مرة أخرى، والمسلمون عندهم أن المسيح سيأتي في آخر الزمان، ويقتل المسيح الدجال، ويحكم بشريعة الإسلام، كما صحَّت بذلك الأحاديث عن النبي ﷺ.

وليس الترابي أول مَن أنكر نزول المسيح، هناك آخرون سبقوه بهذا في عصرنا، وحاولوا أن يردوا الأحاديث، منهم الشيخ محمد عبد الله السمان في كتابه: «الإسلام المصفَّى»، أنكر فيه قضية نزول المسيح، وقال ما معناه: لعل المراد بنزول المسيح انتشار الإسلام في الأرض، لأن المسيح داعية السلام.

وهو كلام لا يُقبل؛ لأن الأحاديث التي تحدثت عن نزول المسيح قالت: «**والله، لينزلنَّ ابنُ مريم حَكمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجزية**»[1]. أي: لن يقبل من أحد الجزية؛ فإما الإسلام، وإما السيف، لم تقل الأحاديث: إنه داعية السلام، فالتأويل ضد الأحاديث، فهو غير مقبول.

وأيضًا محمد أسد الكاتب النمساوي، الذي كان يهوديًا ثم أسلم، وله كتاب «الإسلام على مفترق الطرق» وكتاب «الطريق إلى مكة»، يؤوِّل ظهور المسيح الدجال، فيقول عنه: «ذلك الكائن العجيب الذي يكون أعور، إلا أنه يتمتع بقوة خفية يُنعم بها الله عليه، وهو يسمع بأذنيه ما يُنطق به في أقصى زوايا الأرض، ويرى بعينه الواحدة كل

(١) سبق تخريجه صـ ١٦٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ما يحدث على مسافات غير محدودة، وهو يطير حول الأرض في أيام، ويجعل كنوزًا من الذهب والفضة تظهر فجأة من تحت الأرض، ويَنزل الغيثُ، ويَنبُت الزرع بأمره، ويُميت ويُحيي من جديد، حتى يعتقد كل مَن هم ضعاف الإيمان أنه هو الله نفسه، فيَخِرُّون أمامه ساجدين، ولكن أقوياء الإيمان يقرؤون ما هو مكتوب على جبهته بأحرف من نار (كافر)، فيعرفون أنه ليس إلا وهمًا وخدعة، لامتحان الإنسان في إيمانه».

ويردف محمد أسد بالتساؤل والتأويل، فيقول: «ألا ينطبق هذا المثلُ على المَدَنية الصناعية الفنية الحديثة؟ إنها (عوراء)، أعني أنها تنظر إلى ناحية واحدة من الحياة؛ الرُّقيِّ المادي، غافلةً عن جانبها الروحي. وبمعرفة أعاجيبها الميكانيكية تمكَّن الإنسان من أن يرى ويسمع على مسافات أطول جدًّا مما تمكِّنُه قدرته الطبيعية أن يرى ويسمع، وأن يقطع مسافات لا نهاية لها بسرعة خارجة عن نطاق التصوُّر، إن خبرتها العلمية (تُنزِل الغيث وتُنبت الزرع)، وتكشف من تحت الأرض عن كنوز لا تخطر ببال، ويُعيد دواؤها الحياة إلى من يبدو وكأنه مقضيٌّ عليه بالموت المحتَّم، بينما تُبيد حروبُها وأهوالها العلمية الحرْثَ والنسل. وإنَّ تقدمها المادي من القوة والبريق، بحيث إن ضِعاف الإيمان آخذون في الاعتقاد بأنها إلهٌ بنفسِها، إلا أن أولئك الذين ظلُّوا واعين لحالتهم يُدركون بوضوح أن عبادة الدجال تعني الكفرَ بالله»[1].

(١) الطريق إلى مكة صـ ٣٩٧ بتصرف، ترجمة د. رفعت السيد علي، نشر مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ١٤٢٥هـ.

QaradawiBooks.com

وهو تأويل بعيد وممجــوج، وإذا فتحنا باب التأويل على مصراعيه، فلن تسلم عقيدة من العقائد، ثم لماذا نؤوِّل؟ ما المانع أن يأتي المسيح الدجال فتنة من الفتن، ولماذا لا ينزل المسيح عليه السلام ليقتل الدجال، ويُري الناس أن هذا الدجال الكذاب لا أســاس له، ويحكم بشريعة الإسلام، وتكثر الخيــرات والبركات في عهــده، ثم يذهب، وتقتــرب الدنيا من نهايتها؟ ليس هناك داعٍ عقليٌّ يدفعنا إلى إنكار نزول المسيح عليه السلام، وقتله الدجال، بل هو مما تواترت الأحاديث به.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

ظهور يأجوج ومأجوج

غير مرخصة للطباعة

من أشراط الساعة الكبرى التي يذكرها المحدثون عادة: ظهور يأجوج ومأجوج.

ويأجوج ومأجوج: قبيلتان كبيرتان من قبائل الشرق الأقصى، من القبائل المتمردة والمفسدة في الأرض، والمهدِّدة لمن حولها، ذكرهما القرآن العظيم في القصص التي اشتملت عليها سورة الكهف، حين عرض القرآن لقصة الملك الفاتح ذي الجولات الكبرى في العالم، الذي أطلق عليه القرآن لقب (ذي القرنين)، حين قال مخاطبًا الرسول الكريم: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣ ـ ٨٥].

فبيَّن القرآن أن هذا الملك رجل ممكَّن له من الله في الأرض، وذكر القرآن رحلاته في مغرب الشمس وفي مشرقها، إلى أن بلغ ما بين السدَّين، فوجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا، ﴿ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۞ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٤ ـ ٩٨].

ويبدو من سيرة ذي القرنين أنه رجل مؤمن، معلنٌ توحيد الله، ومنفِّذ لشرعه، ولا يمكن أن يكون الإسكندر الأكبر، كما زعم بعض المفسِّرين، فهذا رجل وثني لا يصلح أن يكون ذا القرنين الذي تحدث عنه القرآن.

QaradawiBooks.com

عرض هؤلاء القوم الذين لا يكادون يفقهون قولًا على ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج المفسدين في الأرض سدًّا، على أن يدفعوا له خَرْجًا ـ أيْ: قدْرًا معلومًا من المال يفرضه عليهم أو يطلبه منهم ـ ولكن الرجل كان أكرم من ذلك، فأخبرهم أنه يفعل ما يُقدِره الله عليه، وأن عليهم أن يعينوه بما استطاعوا من قوة، ولا يقعدوا كسالى يدفعون المال ولا يقومون بأيِّ جهد، قال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أيْ: قطع الحديد (الخردة) اجمعوها من كل مكان. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أيْ: الجبلين، ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ ليُشعلوا نارًا قوية. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ جعل الحديد، ﴿نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أيْ: نُحاسًا مذابًا، أي: انصهر الحديد، وذُوِّب بالنحاس، فازداد صلابة، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ هنالك تجلى إيمان ذي القرنين، وقال في ثقة المؤمن، وإيمان الواثق: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٥ ـ ٩٨].

وقام هذا السد العظيم بالتعاون الإيجابي بين الحاكم العادل والشعب المساعد، ونجَّاهم الله من يأجوج ومأجوج، المفسدين في الأرض، حتى يأتي وعد الله المقرَّر، ويأذن بخروج يأجوج ومأجوج.

وقد ذكر الله في سورة الأنبياء خروج يأجوج ومأجوج أو فتحها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

QaradawiBooks.com

ماذا يجد القارئ عند المحدِّثين عن يأجوج ومأجوج؟

ومن قرأ الأحاديث النبوية، التي جاءت في قصة يأجوج ومأجوج، وترك الموضوع والضعيف والمنكر منها، واقتصر على الصحيح، فإنه يخرج منها متعجِّبًا، بل حائرًا، لما ذكر فيها من أمور مضطربة، لا تتفق مع الأمور الأخرى الثابتة بيقين.

فمن الأحاديث الصحيحة التي جاءت: ما يُشْعِر بأن يأجوج ومأجوج هم عالَم كبير فسيح، يعدُّ بالملايين أو بالمليارات، حتى إن النبي ﷺ جعل عدد المسلمين من سائر الناس، كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الشعرة السوداء في الجلد الأبيض أو الأحمر. ثم ذكر أن معظم أهل النار من يأجوج ومأجوج[1]. وهذا يدل على كثرة سوادهم، وضخامة أعدادهم.

وإذا كانوا كذلك، فأين يعيشون الآن؟! لقد أصبحت الدنيا معلومة للناس، وقد طافوا عليها بسياراتهم وبطائراتهم وبسفنهم، وعرفوا جُزُرها ومَن يسكنها، وعرفوا الجزر والأماكن التي لا يعيش فيها أحد، وأصبح لديهم من وسائل التعرُّف على الناس أينما كانوا ما لا يكاد يخفى عليهم، إلا أفرادًا أو جماعات قليلة، لا يصعب عليهم الوصول إليهم، أما الأعداد الهائلة، فهي قطْعًا غير خافية عليهم، وهي معروفة معدودة لهم.

---

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «يقول الله: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك». قال: «يقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين. فذاك حين يشيب الصغير...». وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا، ومنكم رجل**». رواه البخاري في الرقاق (٦٥٣٠)، ومسلم في الإيمان (٢٢٢)، عن أبي سعيد.

QaradawiBooks.com

وهــذه الأحاديث تجعل ظهــور يأجوج ومأجــوج وكثرتهم وقوتهم وغلبتهم على غيرهم من بني آدم أمــرًا مفروغًا منه، وتجعل هذه الأمور من أشراط الســاعة الكبرى، أي تظهر مع المسيح الدجال، وعند ظهور المسيح عيسى ابن مريم، وتجعل الناس عند نزول عيسى يلجؤون إليه، يسألونه أن يدعو الله تبارك وتعالى ليُريحهم من شرور يأجوج ومأجوج.

الحقيقة أن هذه الأحاديث جعلتني أتوقف لأسأل نفسي: هل كل هذه الأحاديث صحيحةٌ صحةً لا رجعة فيهــا؟ أيْ: هل هي قطعية في ثبوتها وفي دلالتها، بحيث لا يمكن ردُّها؟ أو التوقُّــف فيها؟ أم هي أحاديث آحاد، يحقُّ للباحث والعالم الجادِّ أن يتوقَّف فيها، ويُعمل فكرَه، ويطيل بحثه، وينظر في أمره، كما هو شأن العالم المسلم المحقِّق، الذي لا يقبل من العلم إلا ما يقبله العقل المستريح، ولا يُسلِّم لقضية من القضايا إلا ما أيَّده العلم الصريح، وســانده النقل الصحيح، فالإسلام لم يطالبه أن يقبل ما يرفضه العقل، ويضاده النقل.

لقد وجدت أن الإمام البخاري وهو ـ في نظر المسلمين ـ أعظم من ألَّف في صحيح الســنة، ومن أعظم مــن تحرَّى فيها، وهــو ما جربناه بالاستقراء، إلا في القليل جدًّا من الأحاديث. وجدته لم يُثبت من أحاديث يأجوج ومأجوج إلا مثــل حديث أم المؤمنين زينــب بنت جحش زوج النبي ﷺ، أنها قالت: اســتيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًّا وجهه، يقول: «**لا إله إلا الله! ويل للعرب من شــرٍّ قد اقترب! فُتِح اليومَ من ردم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه**». وعقد سفيان (ابن عيينة أحد رواة الحديث) تسعين أو مائة. قيل: أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثُر الخَبَث**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ ٦٨.

QaradawiBooks.com

لم يذكر البخاري في صحيحه أية أحاديث تبيِّن أعداد هؤلاء القبائل أو الأقوام، وأين يعيشـون، ومتى يخرجون ليواجهوا الناس، ولهذا من اقتصر على البخاري، وبحث ما بحثه، وتحرَّى ما تحراه، أعتقد أن أحدًا لا يلومه، فهو على نهج إمام من أئمة السُّنَّة، وعملاق من عمالقة الثقافة الإسلامية، وهو على نهج أئمة كبار أخذ عنهم وسار على طريقتهم.

ما ذكرتْه الأحاديث عن عدد الأمة المحمدية بالنسبة ليأجوج ومأجوج:

ولئن قبلنا موقف البخاري وتحفُّظـه فيما ذُكِر عن يأجوج ومأجوج، وعدم روايته لشيء من ذلك مع الأشراط الكبرى، مع المسيح الدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، فإننا نجد البخاري نفسه ذكر مع الإمام أحمد ومسلم وغيرهما من أئمة السنة ما ذكروه من الأحاديث التي يقف أمامها العالم المسـلم المدقِّق حائـرًا، لتناقضه مع الواقـع، الذي نراه بأعيننا، ونلامسه بأيدينا.

فإن الإسـلام اليوم يكاد يصل إلى ربع العالم، والمسلمون يزدادون نماء في أنحاء الدنيا، والآخرون يزدادون نقصًا، فكيف يُقبل ما صحَّ من الأحاديث الآحاديـة التي روت أن أمتنا في الأمم كالشـعرة البيضاء في الثور الأسود؟!

خذ ما ذكره الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) في التاريخ في الجزء الأخير:

قال الإمام أحمد: حدثنا قُتيبة، حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن ثَوْر، عن أبي الغَيث، عن أبي هريرة، أنَّ رسـول الله ﷺ قال: «**أول من يُدعَى يوم القيامة آدمُ، فيُقَال: هذا أبوكم آدم. فيقول: يا رب، لبَّيْك وسـعديْك.**

QaradawiBooks.com

فيقول له ربُّنا: أَخرِجْ نصيب جهنم من ذريتك. فيقول: يا رب، وكم؟ فيقول: من كل مائة تسعةً وتسعين». فقلنا: يا رسول الله، أرأيتَ إذا أُخِذَ مِنَّا من كل مائة تسعةٌ وتسعون، فماذا يبقى منا؟ قال: «**إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود**»[١].

ورواه البخاري، عن إسماعيل بن عبد الله، عن أخيه، عن سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد الدِّيلي، عن سالم أبي الغيث، مولى ابن مُطِيع، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**أول من يُدعَى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريتُه، فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبَّيْك وَسَعْديك. فيقول: أخرِجْ بَعْثَ جهنم من ذريتك**»[٢]. وذكر تمامه كما تقدَّم (في الحديث السابق).

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدمُ، قُمْ فابعَثْ بَعْثَ النار. فيقول: لبَّيْك وسَعْدَيْك، والخيرُ في يَدَيْك. يا رب، وما بَعْثُ النار؟ قال: من كل ألف تسعَمائة وتسعةً وتسعين**». قال: «فحينئذ يشيب المولود: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. قال: فيقولون: فأيُّنا ذلك الواحد؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**تسعُمائة وتسعةٌ وتسعون من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد**». قال: فقال الناس: الله أكبر. فقال رسول الله ﷺ: «**أفلا ترضَوْن أن تكونوا رُبُع أهل الجنَّة، والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنَّة، والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، والله إني لأرجو أن**

(١) رواه أحمد (٨٩١٣).

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٢٩).

QaradawiBooks.com

تكونوا نصف أهل الجنة». قال: فكبَّر الناس. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**ما أنتم يومئذ في الناس، إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض**»[١].

ورواه البخاري، عن عمر بن حَفْص بن غِياث، عن أبيه، عن الأعمش، به[٢].

ورواه مسلم، عن أبي بكر بن أبي شَيْبَة، عن وكيع به[٣].

وأخرجاه من طرق أُخَر، عن الأعمش به[٤].

وفي (صحيح البخاري) عن بُنْدارٍ، عن غُنْدر، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: كُنَّا مع النبي ﷺ في قُبَّة، فقال: «**أترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة؟**». قلنا: نعم. قال: «**أترضَوْن أن تكونوا ثُلُث أهل الجنة؟**». قلنا: نعم. قال: «**أترضَوْن أن تكونوا شَطْر أهل الجنة؟**». قلنا: نعم. قال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده، إني لأرجو أن تكونوا شَطْر أهلِ الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**»[٥]،[٦].

---

(١) رواه أحمد (١١٢٨٤).

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٧٤١).

(٣) رواه مسلم في الإيمان (٢٢٢) (٣٨٠).

(٤) كما روى البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٨)، من طريق إسحاق بن نصر، عن أبي أسامة، عن الأعمش، ومسلم في الإيمان (٢٢٢) (٣٧٩)، من طريق عثمان بن أبي شيبة، عن جرير، عن الأعمش.

(٥) سبق تخريجه صـ ١٧.

(٦) انظر هذه الأحاديث: البداية والنهاية (١٩/٤٨٢ ـ ٤٨٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

ولكن إذا قبلنا هذه الأحاديث، وهي مروية عن الشيخين البخاري ومسلم وعند أحمد، وغيره من الأئمة، فكيف نطبِّقها على الواقع؟!

فالواقع يقول اليوم: إن المسلمين يُقدَّرون بنحو رُبُع العالم، وهم يزدادون بمرور السنين، فكيف يفهم التشبيه الذي في هذه الأحاديث، والذي بيَّن أن الأمة الإسلامية في وسط الكافرين كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض؟! إن هذا بعيد جدًّا جدًّا.

وأود هنا أن أنقل ما قاله السيد رشيد رضا في أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

خلاصة القول في أحاديث الفتن وأشراط الساعة عند رشيد رضا:

يقول السيد محمد رشيد رضا في تفسيره (المنار): «وجملة القول في أحاديث الفتن وأشراط الساعة وأماراتها، وسبب الاختلاف والتعارض فيما يختصر في المسائل الآتية:

١ ـ أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، كما يأتي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. بل هو معلوم من الدين بالضرورة، وإنما أعلمه الله تعالى ببعض الغيوب، بما أنزله عليه في كتابه، وهو قسمان: صريح كأخبار الملائكة والساعة، والجنة والنار، ومستنبَط من بيان سنن الله تعالى المنصوصة فيه، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]. فكان يَفْهم منها ﷺ ما لا يفهم غيره من

QaradawiBooks.com

الصحابة فمن دونَهم علمًا وفهمًا، كما رُوِي عن الزبير ﷺ من عدة طرق في آية: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾ أنهم قرؤوها على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكونوا يعلمون أنها تقع منهم[١]، حيث وقعت في فتنة قتل عثمان، وفي يوم الجمل، والروايات عن الزبير أوردها الحافظ ابن حجر في أول شرح كتاب الفتن من البخاري[٢].

٢ ـ أن الله تعالى أعلمه ببعض ما يقع في المستقبل بغير القرآن من الوحي، كسؤاله لربه: «ألَّا يجعل بأس أمته بينها» فلم يعطه ذلك، وأعلمه أن سنته في خلقه لا تتبدل، أي وأن هذا منها[٣]، راجع تفسيرنا لقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ...﴾ [الأنعام: ٦٥] إلخ[٤]. ولم يكن ﷺ يعلم أن ذلك من سُنَّتِه تعالى قبل إعلامه له.

٣ ـ أنه كان يتمثل له ﷺ بعض أمور المستقبل كأنه يراه، كما تمثَّلت له الجنة والنار في عُرض الحائط[٥]، وكما تمثَّل له في أثناء حفر الخندق

---

(١) إشارة إلى قول الزبير: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ، وأبي بكر وعمر وعثمان: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ [الأنفال: ٢٥]. لم نكن نحسب أنَّا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت. رواه أحمد (١٤١٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٤٢).

(٢) فتح الباري (٤/١٣).

(٣) إشارة إلى حديث: «سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي: ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته ألَّا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألَّا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها». رواه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩٠).

(٤) راجع تفسير المنار (٤٠٨/٧) وما بعدها.

(٥) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: «مَن أحب أن يسأل عن شيء فليسأل... عرضت علي الجنة والنار آنفًا في عرض هذا الحائط، فلم أر كالخير والشر». رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٤٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٩)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ما يفتح الله لأصحابه من الممالك[١]، وكما تمثَّلت له الفتن وهو مشرف على أُطُم من آطام المدينة فقال، كما في الصحيحين: «**هل ترون ما أرى؟**». قالوا: لا. قال: «**فإني لأرى الفتن تقع خِلَال بيوتِكم كوقوع القطر**»[٢]. وظهر هذا في فتنة قتل عثمان رضي الله عنه، ومثله حديث الفتن من قِبَل المشرق[٣].

وكشفُه هذا حق، وهو ما يُسمِّيه أهل الكتاب: نبوءات، وقد ظهر منه شيء كثير كالشمس.

٤ ـ أنه ﷺ لم يكن يخبر أصحابه بكل ما يُطلِعه الله عليه من ذلك، بل بما كان يرى المصلحة في إخبارهم به موعظةً وتحذيرًا، وكان يخص بعض أصحابه ببعضها، كما رُوِي في مناقب حذيفة رضي الله عنه، وما كان كل من سمع منه شيئًا منها يفهم مراده كلَّه، وإذا كانوا لم يفهموا تأويل بعض آيات القرآن في سنن الله العامة حق الفهم التفصيلي كما تقدم آنفًا عن الزبير رضي الله عنه، وإذا كان منهم من لم يفهم بعض آيات الأحكام الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. فلأن يخفى عليهم تأويل ما خُصَّ به بعض الأفراد ـ وهو ممَّا لم يؤمر بتبليغه للناس كافة؛ لأنه ليس من أصول الدين ولا من فروعه ـ أولى، وخفاء ذلك على مَنْ بعدَهم أولى، إلا من يقع تأويله في عهدهم كوصفه ﷺ النساء المتهتكات في هذا العصر بالكاسيات العاريات[٤]، إلخ.

---

(١) رواه البخاري في المناقب (٣٥٩٥)، عن عدي بن حاتم.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٩.

(٣) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ، وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**». متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٢٩٠٥)، كلاهما في الفتن.

(٤) سبق تخريجه صـ ٣٤.

QaradawiBooks.com

٥ ـ لا شك في أن أكثر الأحاديث قد رُوِي بالمعنى، كما هو معلوم، واتَّفق عليه العلماء، ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح في ألفاظ الحديث الواحد، حتى المختصر منها، وما دخل على بعض الأحاديث من المُدْرَجات، وهي ما يُدْرج في اللفظ المرفوع من كلام الرواة، فعلى هذا كان يروي كل أحد ما فهمه، وربما وقع في فهمه الخطأ؛ لأن هذه أمور غيبية، وربما فسَّر بعض ما فهمه بألفاظ يزيدها، وإذا كان النبي ﷺ لم يُطلِعه الله تعالى على كل ما أطلعه عليه من هذه المغيَّبات بالتفصيل، وكان يجتهد في بعضها ويقدِّر ويأخذ بالقرآن، كما قال النووي وابن الجوزي في تجويزه ﷺ أن يكون ابن صياد اليهودي المعاصر له هو الدجال المنتظر[1]، وكذا تجويزه أن يظهر في زمنه وهو حي، فهل من الغرابة أن يقع الخلط والتعارض فيما رُوِي عنه بالمعنى بقدر فهم الرواة؟!

٦ ـ أن العابثين بالإسلام ومحاولي إفساد المسلمين، وإزالة ملكهم، من زنادقة اليهود والفرس، وغيرهم من أهل الابتداع وأهل العصبيات العَلَوية والأُموية والعباسية، قد وضعوا أحاديث كثيرة افترَوْها، وزادوا في بعض الآثار المروية دسائس دسُّوها، وراج كثير منها بإظهار رواتها للصلاح والتقوى، ولم يعرف بعض الأحاديث الموضوعة إلا باعتراف من تاب إلى الله من واضعيها، ولقد كان الأستاذ الإمام محمد عبده

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض كلامه على الأحوال الشيطانية: وهذا بخلاف الأحوال الشيطانية، مثل حال عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجال، وتوقف النبي ﷺ، في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجال، لكنه من جنس الكهان. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان صـ ١٦٦، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

يقول: إن الإسلام الصحيح هو ما كان عليه أهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن. ولم يكن يثق إلا بأقل القليل ممَّا روي في الصحاح من أحاديث الفتن.

٧ ـ إن بعض الصحابة والتابعين كانوا يروون عن كل مسلم، وما كل مسلم مؤمن صادق، وما كانوا يفرقون في الأداء بين ما سمعوه من النبي ﷺ أو من غيره وما بلغهم عنه بمثل: سمعت وحدثني وأخبرني، ومثل: عن النبي ﷺ أنه قال، أو قال رسول الله ﷺ، كما فعل المحدِّثون من بعدُ عندَ وضْعِ مصطلح الحديث، وقد ثبت أن الصحابة رضي الله عنهم كان يروي بعضهم عن بعض، وعن التابعين، حتى عن كعب الأحبار وأمثاله، والقاعدة عند أهل السنة أن جميع الصحابة عدول، فلا يخل جهل اسم راوٍ منهم بصحة السند، وهي قاعدة أغلبية لا مطَّردة، فقد كان في عهد النبي ﷺ منافقون قال تعالى فيهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]. مردوا عليه: أحكموه وصقلوه، أو صُقلوا فيه، حتى لم يعد يظهر في سيماهم وفحوى كلامهم، كالذين قال الله فيهم منهم: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

ولكن البلية في الرواية عن مثل كعب الأحبار، وممَّن روى عنه أبو هريرة وابن عباس، ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه، ومنهم المدلِّسون كقتادة، وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج.

فكل حديث مُشكِل المتن، أو مضطرب الرواية، أو مخالف لسنن الله تعالى في الخلق، أو لأصول الدين أو نصوصه القطعية، أو للحسيات وأمثالها من القضايا اليقينية، فهو مظِنَّة لما ذكرنا في هذه التنبيهات...

QaradawiBooks.com

فمن صدَّق رواية ممَّا ذُكِر، ولم يجد فيها إشكالًا، فالأصل فيها الصدق، ومن ارتاب في كل شيء منها، أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين إشكالًا في متونها، فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقة بالرواية، لاحتمال كونها من دسائس الإسرائيليات، أو خطأ الرواية بالمعنى، أو غير ذلك مما أشرنا إليه، وإذا لم يكن شيء منها ثابتًا بالتواتر القطعي، فلا يصح أن يجعل شُبهة على صدق الرسول ﷺ المعلوم بالقطع، ولا على غير ذلك من القطعيات، ولعل الله تعالى يبارك لنا في العمر، ويوفِّقنا لصرف معظمه في خدمة الكتاب والسنة، فنضع لأحاديث الفتن وآيات الساعة مصنَّفًا خاصًّا بها، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير»[1].

رأيُ أبي الكلام آزاد الهندي عن ذي القرنين ويأجوج ومأجوج:

وقد قرأتُ كثيرًا في تفاسير القرآن وفي غيرها حول شخصية ذي القرنين، وما هي؟ ومن هو؟ وأحسب أن أعظم ما قرأتُه هو ما قرأته من حوالي ستين سنة، في الخمسينيات من القرن العشرين، ما نشرته مجلة (ثقافة الهند) التي كانت تصدرها السفارة الهندية في القاهرة، من مقالة علمية تاريخية موثَّقة للعالم الإسلامي الكبير المعروف: أبو الكلام آزاد، أحد أفذاذ علماء الهند المسلمين، والأمين العام لحزب المؤتمر الهندي، الذي كان يقود سياسة البلاد في تلك المرحلة، وكان الشيخ العلَّامة أبو الكلام قد حكم عليه الإنجليز بالإعدام، ودافع عن نفسه دفاعًا عظيمًا، شهده كل الهنود، وشهده العالم، ومنه العالم العربي، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أقطاب الثقافة الإسلامية والتاريخية.

(١) تفسير المنار (٤٢١/٩ ـ ٤٢٣).

QaradawiBooks.com

ذهب أبو الكلام آزاد إلى أن المراد من ذي القرنين المذكور في آيات سورة الكهف هو الملك الفارسي المعروف (قورش)، صاحب الفتوحات والجولات في المشرق والمغرب، وأنه كان في ذلك الوقت يدين بما جاء به زرادشت من ديانة التوحيد، ودلَّل الشيخ على قوله بأدلة علمية قوية بسطها ووضحها، لا أستطيع الآن أن أذكرها وأُوردها؛ لأنها طويلة وممتدة، ولكن أقول لمن يريد أن يطمئنَّ ويزداد ثقة وسكينة أن يرجع إلى هذا القول، فسيجد فيه ما يملأ الإنسان يقينًا، ويبعد عنه قلق الشك وريبته[1].

رأي صاحب الظلال في يأجوج ومأجوج:

لم يذكر القرآن عن سد يأجوج ومأجوج شيئًا بعد نبأ ذي القرنين وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، فمتى وعدُ الله هذا؟ لم نجد في القرآن ذِكرًا ليأجوج ومأجوج بعد ما ذكر في سورة الكهف في أثناء قصة ذي القرنين، إلا آية واحدة وردت في سورة الأنبياء، وهي قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وقد قال صاحب (الظلال) رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير ما جاء في سورة الكهف عن ذي القرنين ويأجوج ومأجوج:

«وبعدُ، فمن يأجوج ومأجوج؟ وأين هم الآن؟ وماذا كان من أمرهم؟ وماذا سيكون؟!

كل هذه أسئلة تصعُب الإجابة عليها على وجه التحقيق، فنحن لا نعرف عنهم إلا ما ورد في القرآن، وفي بعض الأثر الصحيح.

(١) ويسألونك عن ذي القرنين لمولانا أبو الكلام آزاد صـ ١٢٦ ـ ١٤٠، نشر دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

QaradawiBooks.com

والقرآن يذكر في هذا الموضع ما حكاه من قول ذي القرنين: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

وهذا النص لا يحدد زمانًا، ووعد الله (بمعنى وعده بدكِّ السد) ربما يكون قد جاء منذ أن هجم التتار، وانساحوا في الأرض، ودمَّروا الممالك تدميرًا.

وفي موضع آخر في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ..﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧]. وهذا النص كذلك لا يحدِّد زمانا معينًا لخروج يأجوج ومأجوج، فاقتراب الوعد بمعنى اقتراب الساعة قد وقع منذ زمن الرسول ﷺ، فجاء في القرآن: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. والزمان في الحساب الإلهي غيره في حساب البشر، فقد تمرُّ بين اقتراب الساعة ووقوعها ملايين السنين أو القرون، يراها البشر طويلة مديدة، وهي عند الله ومضة قصيرة.

وإذًا فمن الجائز أن يكون السدُّ قد فُتِح في الفترة ما بين: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ويومنا هذا، وتكون غارات المغول والتتار التي اجتاحت الشرق هي انسياح يأجوج ومأجوج.

وهنالك حديث صحيح رواه الإمام أحمد، عن سفيان الثوري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها حبيبة، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ الرسول ﷺ من نومه وهو محمرُّ الوجه وهو يقول: «**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا**». وحلق بإصبعيه السبابة والإبهام. قلتُ: يا رسول الله، أنهلِك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثُر الخبث**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ ٦٨.

QaradawiBooks.com

وقد كانت الرؤيا منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن، وقد وقعت غارات التتار بعدها، ودمرت مُلك العرب بتدمير الخلافة العباسية على يد هولاكو في خلافة المستعصم آخر ملوك العباسيين، وقد يكون هذا تعبير رؤيا الرسول ﷺ، وعلم ذلك عند الله، وكل ما نقوله ترجيح لا يقين»[١].

رأينا فيما قاله الشهيد سيد قطب:

ونقول: ما قاله الشهيد سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ مقبول تمامًا، لو لم يكن هناك ما يشوِّش عليه، وهو الروايات التي رواها الإمام أحمد في مسنده، والإمام مسلم في صحيحه، وما رواه أصحاب السنن المعروفة من أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم من أصحاب الكتب والمسانيد والمعاجم، من جعلهم: ظهور يأجوج ومأجوج في وقت ظهور أشراط الساعة الكبرى، عند ظهور الدجال ونزول المسيح ابن مريم، فيستعين الناس بالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ على هؤلاء القوم الطغاة المتجبِّرين في الأرض، فيدعو الله عليهم، فيقتلهم الله ويفنيهم، ويريح أهل الأرض وأهل الإيمان من شرورهم.

إنما الذي يغنينا عن هذه الأحاديث والروايات الآحادية التي أعرض عن روايتها الإمام البخاري، برغم شهرتها ومعرفتها عنده وعند إخوانه من أئمة الحديث: أن نكتفي بما عند البخاري ومن وافقه من الأئمة. ويبدو أن هذا هو موقف صاحب «الظلال» سيد قطب، وإن لم يصرِّح به، ولكن موقفه العملي يشير إليه، ويدل عليه.

---

(١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب (٤/٢٢٩٣ ـ ٢٢٩٤).

QaradawiBooks.com

رأي الشيخ محمد الغزالي في يأجوج ومأجوج:

وقال شيخنا الشيخ الغزالي في كتابه «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن» في تفسير سورة الكهف: «ويأجوج ومأجوج جيل من الهمج، لا يضبطهم وحي، ولا تحكمهم شريعة، وهم يعيشون في الصين، ويبدو من جرس الكلمة أنها صينية الأصل.

وقد ذكر القرآن الكريم في هذه السورة أن مدنًا كثيرة سوف تُعذَّب آخر الزمان: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]. كما جاء في سورة الإسراء: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨].

فهل ذلك على يد يأجوج ومأجوج؟ أو يصادف خروجهم؟ قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]»[1].

ويقول الشيخ الغزالي في تعقيباته على سورة الأنبياء: «وأغلب الأنبياء الذين عرفناهم ظهروا شرق البحر المتوسط وجنوبه، في مناطق قامت بها أهم الحضارات القديمة... وخلاصة تعاليمهم مودعة في القرآن الكريم.

ويلاحظ أن الحديث عن هؤلاء الأنبياء سبقه حديث عن اليوم الآخر: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وأعقبه كذلك حديث مستفيض عن اليوم الآخر بدأ بقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣]. كان حريًّا

(١) نحو تفسير موضوعي للشيخ محمد الغزالي (٨٨/٢)، نشر دار الشروق، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

بأتباع الأنبياء أن يتعاونوا على البـــر والتقوى، لكن الذي وقع غير هذا، فقد ظل اليهود عشرين قرنًا يكذِّبون عيسى ابن مريم، وعندما ظهر محمد كذَّبه النصارى، وتعاون معهم اليهودُ على حرب رسالته وخصومة أمته!!

ويبدو أن هذا التقطُّع بين أتباع الرســل سوف يبقى حتى يظهر جنس همجيٌّ من شرق العالم، لم يحمل يومًا ما رسالة سماوية، فيجتاح الدنيا، ويهزم مَن يعترضــه، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأنبيـاء: ٩٦، ٩٧]. والذي يظهر لي أن هؤلاء من الصين وشــرق آسيا عامة. ومن المفسرين من يقول: إنهم المغول والتتار الذين أســقطوا دولة الإســلام في بغداد، وداسوا الشعوب من سبعة قرون تقريبًا، وليس هذا بمقبول، فالسياق يدل على أن يأجوج ومأجوج من الفتن التي تظهر بين يدي الساعة، وأنهم من أشراطها القريبة جدًّا»[1] اهـ.

رأينا فيما ذهب إليه شيخنا محمد الغزالي:

ولكن إذا كان يأجــوج ومأجوج من الصين، فكيــف يظهرون على الناس، وهــم ظاهرون عليهم مــن قديم، ويختلطون بهــم، بمعاهدات وســفارات وقنصليات وعلاقات دولية، وعلاقات سياســية، كيف نفهم خروجهم على الناس إذا كانوا هم من الصين؟!!

والعجيب أن الشيخ الغزالي في كتابه (عقيدة المسلم) الذي ألفه في ريعان شبابه لم يذكر يأجوج ومأجوج في أشراط الساعة الكبرى.

(١) نحو تفسير موضوعي (٨٨/٢).

QaradawiBooks.com

طلوع الشمس من مغربها

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمَن مَن عليها**»(١).

وفي رواية: «**فإذا طلعت، ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]»(٢).

ورَوَيَا عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ في المسجد، عند غروب الشمس، فقال: «**يا أبا ذر، أتدري أين تذهب هذه الشمس؟**». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**تذهب تسجد تحت العرش**(٣)**، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، فذلك قوله** عز وجل: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٣٥)، ومسلم في الإيمان (١٥٧).

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٦).

(٣) قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٤٠٣/٥): يسجد لعظمته تعالى كل شيء طوعًا وكرهًا، وسجود كل شيء مما يختص به. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥٤٢/٨): وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٩)، ومسلم في الإيمان (١٥٩).

QaradawiBooks.com

قال ابـــن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكـــره لأقوال المفســـرين في الآية: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ذلك حين تطلع الشمس من مغربها**»»[(١)].

وروى الإمام مسلم في صحيحه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(٢)].

وقد تميَّزت هذه العلامة عن أخواتها من علامات الســـاعة الكبرى بأنها تحدث في العالم العلوي، وأن النـــاس جميعًا يرونها، وأن باب التوبة يُغلَق بعدها.

الإمام القرطبي يفسِّر قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ بطلوع الشمس من مغربها:

وقال الإمام القرطبي في تفسير قوله الله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]: «قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ معناه: أقمتُ عليهم الحجةَ، وأنزلتُ عليهم الكتابَ فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون؟

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: عند الموت لقبض أرواحهم، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس والضحاك: أمـــرُ ربك فيهم بالقتل أو غيره. وقد يذكـــر المضاف إليه، والمراد به المضـــافُ؛ كقوله تعالى:

---

(١) تفسير الطبري (٢٦٦/١٢).

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، يعني أهلَ القرية. وقولِه: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣]، أي: حُبَّ العجل. كذلك هنا: يأتي أمر ربك، أي عقوبة ربك وعذاب ربك.

ويقال: هذا من المتشابه الذي لا يعلمُ تأويله إلا الله.

﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قيل: هو طلوع الشمس من مغربها. بيَّن بهذا أنهم يُمْهَلون في الدنيا، فإذا ظهرت الساعةُ فلا إمهالَ.

وقيل: إتيانُ الله تعالى: مجيئُه لفصل القضاء بينَ خلقه في موقف القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]. وليس مجيئه تعالى حركةً ولا انتقالًا ولا زوالًا؛ لأنَّ ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا. والذي عليه جمهورُ أئمة أهل السُّنَّة أنهم يقولون: يجيءُ وينزلُ ويأتي. ولا يُكيِّفُون؛ لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث إذا خرجْن لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كسبتْ في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجَّال، ودابَّة الأرض**»[(١)].

وعن صفوان بن عسَّال المُرَادِيِّ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرةَ سبعينَ سنة؛ لا يُغْلَق حتى تطلعَ الشمس من نحوه**». أخرجه الدَّارقُطْنِيُّ والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٨.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٣٥)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٧٠)، والدارقطني في الطهارة (٧٦١).

QaradawiBooks.com

قلتُ: وكذَّب بهذا كلِّه الخوارجُ والمعتزلةُ.

قال العلماء: وإنما لا يَنفعُ نفسًا إيمانُها عندَ طلوعها من مغربها؛ لأنه خلَص إلى قلوبهم من الفزع ما تُخْمَدُ معه كلُّ شهوةٍ من شهوات النفس، وتَفْتُرُ كلُّ قوّةٍ من قوى البدن؛ فيصير الناس كلُّهم لإيقانهم بدُنُوِّ القيامة في حال من حضره الموتُ في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم، وبطلانها من أبدانهم؛ فمن تاب في مثل هذه الحال لم تُقبَل توبتُه، كما لا تُقْبَل توبةُ من حضره الموتُ. قال ﷺ: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[(١)]. أي: تبلغ رُوحه رأسَ حلْقه، وذلك وقتُ المعاينةِ الذي يرى فيه مقعدَه من الجنة أو مقعدَه من النار؛ فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثلُه. وعلى هذا ينبغي أنْ تكون توبةُ كلِّ من شاهد ذلك ـ أو كان كالمشاهد له ـ مردودةً ما عاش؛ لأنَّ علمه بالله تعالى وبنبيِّه ﷺ وبوعده قد صار ضرورةً. فإن امتدَّت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان، ولا يتحدَّثوا عنه إلا قليلًا، فيصير الخبر عنه خاصًّا، وينقطع التواترُ عنه، فمن أسلم في ذلك الوقت أو تابَ قُبِلَ منه. والله أعلم.

وفي صحيح مسلم، عن عبد الله بن عمرو قال: حفِظْتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنْسَه بعدُ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوعُ الشمس من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضُحًى، وأيهما ما كانت قبلَ صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٦١٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٣٧)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٤١)، وأحمد (٦٨٨١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ترتيب علامات الساعة الكبرى:

وفيه عن حذيفة بن أسِيد قال: كان رسول الله ﷺ في غرفة ونحن أسفلَ منه، فاطَّلَعَ إلينا فقال: «**ما تذكرون؟**». قلنا: الساعة. قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تكونَ عشر آيات: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ في جزيرة العرب، والدُّخان، والدَّجَّال، ودابَّة الأرض، ويأجوجُ ومأجوجُ، وطلوعُ الشمس من مغربها، ونارٌ تخرجُ من قعر عَدَنٍ تَرْحَلُ الناس**». قال شعبة: وحدثني عبد العزيز بن رُفيع، عن أبي الطّفيل، عن أبي سَرِيحَة مثل ذلك، لا يذكر النبي ﷺ. وقال أحدهما في العاشرة: «ونزول عيسى ابن مريم ﷺ». وقال الآخر: «ورِيحٌ تُلْقِي الناسَ في البحر»[1].

قلت (القرطبي القائل): وهذا حديث متقَن في ترتيب العلامات. وقد وقع بعضها، وهي الخسوفاتُ، على ما ذكر أبو الفرج الجَوْزيُّ من وقوعها بعراق العجم والمغرب، وهلك بسببها خلقٌ كثير؛ ذكره في كتاب (فهوم الآثار) وغيره.

ويقال: إنَّ الآياتِ تتابع كالنّظْم في الخيط عامًا فعامًا.

الحكمة من طلوع الشمس من مغربها:

وقيل: إنَّ الحكمةَ في طلوع الشمس من مغربها: أن إبراهيم عليه السلام قال لنمرود: ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ**﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وأنَّ المُلْحدةَ والمُنجِّمةَ عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غيرُ كائن؛ فيُطْلِعها الله تعالى يومًا من المغرب ليُريَ

(١) سبق تخريجه صـ ١١٤.

QaradawiBooks.com

المنكرين قدرتَه؛ أن الشمس في مُلْكه، إنْ شاء أطلعها من المشرق، وإن شاء أطلعها من المغرب»[١] اهـ.

اختلاف العلماء في تحديد أول أشراط الساعة الكبرى:

لقد اختلف العلماء في الجمع بين الروايات المتباينة في تعيين أول آيات الساعة وآخرها، لما بينها من تفاوت وتضارب لا يستقيم على حال، وأرى أن من أفضل ما قيل في ذلك ما قاله الحافظ ابن كثير بعد أن أورد حديث عبد الله بن عمرو: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوعُ الشمس من مغربها..**» السابق ذكره قريبًا، قال ابن كثير: «أي: أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم معروفة مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، فإنها تطلع على خلاف عادتها المألوفة»[٢].

وقد استشكل العلامة الطيبي كون طلوع الشمس أول الآيات؛ لأن الدخان والدجال قبله!

وأجاب على هذا الاستشكال بأن: «الآيات إما أمارات دالة على قرب قيام الساعة، وإما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها.

(١) تفسير القرطبي (١٤٤/٧ ـ ١٤٨) بتصرف يسير.

(٢) البداية والنهاية (٢٥٤/١٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن الأول: الدخان وخروج الدجال ونحوهما.

ومن الثاني: ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها، والرجفة، وبسُّ الجبال، وخروج النار وطردها الناس إلى المحشر.. ويؤيِّده حديث أبي هريرة بعدَه: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(١)]. حيث جعل طلوع الشمس من مغربها غاية لعدم قيام الساعة. وينصره أيضًا ما رواه البيهقي في كتاب (البعث والنشور)، عن الإمام الحاكم أبي عبد الله الحليمي: إن أولَ الآيات ظهورُ الدجال، ثم نزول عيسى، ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها. وذلك أن الكفَّار يُسلمون في زمان عيسى، حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كان طلوع الشمس من مغربها قبل خروج الدجال ونزول عيسى، لم ينفع الكفار إيمانَهم أيام عيسى، ولو لم ينفعهم لما صار الدين واحدًا»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي يترجَّح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ ١٩٤.

(٢) شرح الطيبي للمشكاة (٣٤٤٩/١١)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) فتح الباري (٣٥٣/١١).

QaradawiBooks.com

كلام د. النجار عن طلوع الشمس من مغربها وارتباك دوران الأرض حول محورها قبل ذلك:

يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار في موسوعته العلمية القرآنية، حول قضية طلوع الشمس من مغربها: «بمعرفة كلٍّ مِن سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس في أيامنا الراهنة، ومعدل تباطؤ سرعة هذا الدوران مع الزمن، توصَّل العلماءُ إلى الاستنتاج الصحيح أن أرضنا سوف يأتي عليها وقت تجبر فيه على تغيير اتجاه دورانها بعد فترة من الاضطراب، فمنذ اللحظة الأولى لخلقها إلى اليوم، وإلى أن يشاء الله، تدور أرضنا من الغرب إلى الشرق، فتبدو الشمس طالعة من الشرق، وغاربة في الغرب، فإذا انعكس اتجاه دوران الأرض حول محورها، طلعت الشمس من مغربها، وهو من العلامات الكبرى للساعة، كما أخبرنا المصطفى ﷺ. فعن حذيفة بن أَسِيد الغفاري رضي الله عنه أنه قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تَذاكرُون؟**». قلنا: نذكر الساعة. فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات**». فذكر: الدخان، الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمسُ من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ ١١٤.

(٢) سبق تخريجه صـ ١٢٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي حديث الدجال الذي رواه النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجَّال... قلنا: يا رسول الله: وما لُبثه في الأرض؟ قال ﷺ: «**أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**». قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال ﷺ: «**لا، اقدُروا له**»[1].

ومن الأمور العجيبة: أن يأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين، ليؤكد أنه قبل تغيير اتجاه دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، ستحدث فترة اضطراب نتيجة لتباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، وفي فترة الاضطراب تلك ستطول الأيام بشكل كبير، ثم تقصر وتنتظم بعد ذلك.

ويعجب الإنسان لهذا التوافق الشديد بين نبوءة المصطفى ﷺ وما أثبته العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين، والسؤال الذي يفرض نفسه: مَن الذي علَّم ذلك لهذا النبي الأمِّيِّ ﷺ؟ ولماذا أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه القضايا الغيبية التي لم تكن معروفة في زمن الوحي؟ ولا لقرون من بعده؟ لولا أن الله تعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى اكتشاف تلك الحقائق الكونية، فتكون هذه الإشارات المضيئة في كتاب الله وفي أحاديث خاتم أنبيائه ورسله ﷺ شهادة له بالنبوة وبالرسالة، في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه» اهـ.

* * *

(١) سبق تخريجه صـ ١٤٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

النار التي تحشر الناس

تقدم حديث حذيفة بن أَسِيد في ذكر أشراط الساعة، وآخره قوله ﷺ: «**وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[(١)]، وفي رواية: «**نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**»[(٢)].

والذي نراه أن هذه النار غير النار التي ظهرت في الحجاز وأضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، والتي تعد من الأشراط الصغرى.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستخرج نار من حضرموت ـ أو: من بحر حضرموت ـ قبل يوم القيامة تحشر الناس**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه: أن عبد الله بن سلام لما أسلم سأل النبي ﷺ عن مسائل، ومنها: ما أول أشراط الساعة؟ فقال النبي ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب**»[(٤)].

والحشر الوارد في الأحاديث السابقة إنما يكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فأما شرار الخلق، فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرًا، حتى تجمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١) (٣٩).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٩٠١) (٤٠).

(٣) رواه أحمد (٥٣٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في الفتن (٢٢١٧)، وقال: حسن صحيح غريب.

(٤) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٢٩).

(٥) لطائف المعارف لابن رجب صـ ٨٩، نشر دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

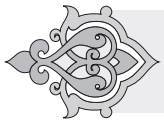

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مسموح بطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾	٢٩	١٥
﴿ وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾	٩٣	١٩٦
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾	١٧٧	٨٢
﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾	١٨٧	١٨٥
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾	٢٥٨	١٩٨
سورة النساء		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٣٦
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	٨٢	١٩
﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾	١٢٨	٣١
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١٣٦	٨٢
﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾	١٥٩	١٤٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَ ﴾	٢٨	٥٥
﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ﴾	١١٦ ـ ١١٨	١٧١
سورة الأنعام		
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾	٢٧	١٢١
﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾	٢٨	١٢٢
﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ ... ﴾	٦٥	١٨٤
﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ ﴾	١٥٨	١٩٦
﴿ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا ﴾	١٥٨	١٤٨
﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا ﴾	١٥٨	٥١، ١٩٥
سورة الأعراف		
﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	٢٣	١٠
﴿ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ ﴾	٣٤	٢٥
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾	٥٤	١٦
﴿ وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا ﴾	٥٨	١٣١
﴿ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾	١٥٨	١٩٦
﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾	١٨٧	٤
﴿ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾	١٨٨	١٨٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾	٢٥	١٨٣، ١٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾	٢٧	٣٦
سورة التوبة		
﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ ﴾	١٠١	١٨٧
﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	١٠٥	١٣٩
سورة يونس		
﴿ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ ﴾	٣٣	١٢٦
﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾	٨٩	١٢٢
سورة يوسف		
﴿ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ۝ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥٤، ٥٥	٣٧
﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ﴾	٨٢	١٩٧
سورة الرعد		
﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	١٧	٢٤
سورة إبراهيم		
﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾	١٥	٣٤
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤ ـ ٢٦	١٣١
﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ ﴾	٤٤	١٢١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	١	٩، ٢٩، ٣٠، ١٢٨
سورة الإسراء		
﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾	١٦	١٨٣
﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ﴾	٥١	٣٠
﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	٥٨	١٩٢
سورة الكهف		
﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾	٥١	١٧
﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴾	٥٩	١٩٢
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴾	٨٣ ـ ٨٥	١٧٦
﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٩٤ ـ ٩٨	١٧٦
﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾	٩٥ ـ ٩٨	١٧٧، ١٩٠
﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾	٩٨	١٨٩
سورة الأنبياء		
﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾	١	٩، ٢٩، ٣٠
﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ﴾	٤٧	١٩٢
﴿ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴾	٩٣	١٩٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾	٩٦، ٩٧	١٧١، ١٧٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣
سورة الحج		
﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾	٢	١٨١
﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	١٣، ٢٢
سورة المؤمنون		
﴿ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾	٧٥	١٢٢
سورة النمل		
﴿ بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾	٧٢	١٢٨
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٨٢	٤، ١٢٥، ١٢٦
سورة القصص		
﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾	٢٦	٣٦
﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾	٦٨	١٣٥
سورة العنكبوت		
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ ﴾	١٤	٢٢
سورة الروم		
﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ ﴾	٥٥	٢٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة لقمان		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾	٣٤	٥
سورة السجدة		
﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥	٢٢
سورة الأحزاب		
﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٤٠	٢٦
﴿ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾	٦٣	٢٣
سورة سبأ		
﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾	٥١، ٥٢	١٢١
سورة فاطر		
﴿ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾	٤٣	١٠٠
سورة يس		
﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾	٣٨	١٩٥
سورة الصافات		
﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾	٢٤	١٦٩
سورة ص		
﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾	٨٦	١١٥

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾	٦٨	١٦٨
سورة فصلت		
﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾	٩ ـ ١٢	١٥
سورة الشورى		
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	١٩٧
﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾	١٧	٢٣
سورة الزخرف		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾	٦١	١٤٨، ١٦٢، ١٧١
سورة الدخان		
﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	٩ ـ ١٦	١١٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤
﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠ ـ ١٣	١١٤
﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠	١١٦
﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾	١١	١١٦
﴿ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	١١	١١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾	١٨	٤، ٨، ٢٣، ٢٦، ٣٠
﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾	٣٠	١٨٧
سورة الطور		
﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۞ هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾	١٣، ١٤	١٢١
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	١٤٢
سورة القمر		
﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	١	٤، ٩، ٢٩، ٣٠، ١٩٠
﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾	١	٢٩
سورة الحديد		
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	٢٥	١٣٠
سورة التحريم		
﴿ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	٣	١٥٧
سورة الملك		
﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٢٢	١١٠، ١٣١

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القلم		
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾	٤٢	١٦٩
سورة المعارج		
﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾	٤	٢٢
سورة المزمل		
﴿ يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾	١٧	١٦٩
سورة الإنسان		
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾	١، ٢	٢١
سورة الفجر		
﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	٢٢	١٩٧
﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾	٢٣	١٢١

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

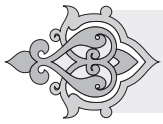

غير مرخصة للطباعة

الحـــديـــث	رقم الصفحة
أ	
أترضون أن تكونوا رُبُع أهل الجنة؟. قلنا: نعم	١٨٢
إذا تشهَّد أحدُكم فليَسْتعِذْ بالله من أربع	١٣٤
إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم. فقد تُوُدِّع منهم	٦١
إذا رأيتم الناس قد مَرِجت عهودهم، وخفَّت أماناتهم، فكانوا هكذا	٥٩
إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا كانت الفاحشة في كِبَاركم	٥٣
إذا فرغ أحدكم من التشهُّد الآخر، فليستعذ بالله من أربع	١٣٦
إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة	٣٣، ٣٦
إذا ولدت الأمة بعلها	٣١
إذا ولدتْ الأمَةُ ربَّها	٣١
أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم	٢٠٢
اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم	٣٩
اعدُد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس	٦٥
أكثر أتباع الدجال اليهود والنساء	٩٤
ألا أبشِّرُك يا عم؟ إنَّ من ذريتك الأصفياء، ومن عترتك الخلفاء	١٠٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ألا أحدِّثكم حديثًا عن الدجَّال ما حدَّث به نبي قومه؟ إنه أعور	١٤٧
ألا إن الفتنة ها هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان	١٨٥
اللهم انصر العباس، وولد العباس ـ ثلاثًا ـ	١٠٢
اللهم سبعٌ كسبع يوسف	١١٥، ١١٨
أما أول أشراط الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب	٢٠٣
أما فتنة الدجال، فإنه لم يكن نبي إلا قد حذَّر أمته	١٤٧
إن آدم حين خُلق كان طوله ستين ذراعًا. وفيه: فلم يزل الخلقُ ينقص بعدُ	٢٣
إن الله زوى (أي: جمع وضمَّ) لي الأرض، فرأيت مشارقَها ومغاربَها	٥٧
إن الله فتح هذا الأمر بي، ويختمه بولدك	١٠٢
إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم	٤١
إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار	١٩٥
إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر	١٩٧
إن أمام الدجال سنين خداعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذب	٦٦
إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها	١٢٧، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠١
إنَّ بالمغرب بابًا مفتوحًا للتوبة مسيرةَ سبعينَ سنة	١٩٦
إن بين يَدَيِ الساعة فتنًا كقِطَع الليل المظلِم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا	٥٥
أن تلد الأمة ربَّتَها	٣٢
إن الدجال أعورُ العينِ الشمال، عليها ظَفَرة غليظة، مكتوبٌ بين عينيه: كافر	١٤١
إن ربكم أنذركم ثلاثًا: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة	١٢٠
إن طالت بكم مُدَّة، أوشك أن ترى قومًا يغدُون في سخط الله	٥٣
إنَّ فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغُوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق	٧٠

QaradawiBooks.com

الحـــديـــث	رقم الصفحة
إنَّ من أشراط الساعة: أن يُرفَع العِلْم، ويظهر الجَهْل، ويفشو الزنى	٤١
إنَّ النبي ﷺ جمع الناس في المسجد رجالًا ونساءً، وحدَّثهم على المنبر	١٥١
إنَّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا	١٠٣
أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلَّات	١٦٥
أنا الحاشر، يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب	٢٧
الأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد	١٦٤
إنما أجَلُكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس	٢٤، ٣٠
إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به	١٥٧
إنما ظننت ظنًّا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا	١٥٧
إنه لم يكن نبي قبلي، إلا وصفه لأمته، ولأصفنَّه صفة لم يصفها	١٤٧
إنها ستكون فتنةٌ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي	٥٥
إنها ستكون فتنةٌ، يكون المُضْطَجعُ فيها خيرًا من الجالس	٥٤
إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، وذكر منها ثلاثة خسوف	١١٢
إني لأعلم أسماءَهم، وأسماءَ آبائهم، وألوان خيولهم	٧٠
إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، [لقد أنذره نوح قومه]	١٤١
أول من يُدعَى يوم القيامة آدم، فتراءى ذريتُه، فيقال: هذا أبوكم آدم.	١٨١
أول من يُدعَى يوم القيامة آدمُ، فيُقَال: هذا أبوكم آدم. فيقول: يا رب	١٨٠
أين ـ أراه ـ السائل عن الساعة؟. قال: ها أنا يا رسول الله	٥، ٣٦
أيها الناس، إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلَّ أمته	٦٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ب	
بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان	١١٤
بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين	٩، ١٧، ٢٣، ٢٦، ٢٧
ت	
تغْزُون جزيرةَ العرب، فيفتحها الله، ثم فارس، فيفتحها الله	٧٢
تقوم الساعة والروم أكثر الناس	٧٢
تكون بين يدي الساعة فِتَنٌ كقِطَع الليل المُظلِم، يصبح الرجل مؤمنًا	٤٠
توشك الأمم أن تَدَاعى عليكم كما تداعى الأَكَلة إلى قصعتها.	٥٤
توشكون أن يملأ الله أيديكم من العجم ـ وقال عفان مرة: من الأعاجم ـ	٤٩
ث	
ثلاث إذا خرجْن لا ينفعُ نفسًا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ	١٤٨، ١٩٦
ح	
حتى يُهِمَّ ربَّ المال مَن يقبل صدقته، وحتى يَعْرِضه	٤٦
ذ	
ذلك حين تطلع الشمس من مغربها	١٩٥
ر	
الرجل التافه، يتكلَّم في أمر العامة	٦٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

الحـــديـــث	رقم الصفحة
س	
سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة	١٨٤
سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن؟ وماذا أنزل من الفتن؟	٦٨
ستخرج نار من حضرموت ـ أو: من بحر حضرموت	٢٠٣
سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب	١١٢
ص	
صنفان من أهل النار لم أرَهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر	٣٤، ٥٣
غ	
غير الدجَّال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم	١٤٣
ف	
فإذا طلعت، ورآها الناس، آمنوا أجمعون	١٩٤
فاستسقى ﷺ لهم، فُسُقوا	١١٨
فإنه أعجبني من حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم به عنه	١٥٣، ١٥٥
فإني لأرى الفتن تـقـع خلالَ بيوتِـكم كوقع القطر	٣٩
فتنفي المدينةُ الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد	٩١
ق	
قولوا: اللهمَّ إني أعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال	١٣٣
ك	
كن كابن آدم	٥٥
كيف بكم إذا نزل فيكم المسيح ابن مريم، وإمامُكم منكم؟	١٦٤
كيف بكم وبزمان ـ أو: يوشك أن يأتي زمان ـ يُغربَل الناس فيه غربلة	٥٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ل	
لا إله إلا الله، ويْلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتِح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج	٦٨، ١٧٩
لا تفعلي، فإنه إن يخرج وأنا حيٌّ يكفيكموه الله بي	١٤٦
لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر	٤٥
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى	٦٣
لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رُومان أو رَكُوبة يضيء منها أعناق الإبل	٦٤
لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان	١١٩، ١٧٠
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمَن مَن عليها	١٩٤، ٢٠٠
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر	٤٧
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة	٥١
لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجَّ البيتُ	٤٤
لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله	٤٤
لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد	٤٣
لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر	٤٨
لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه	٥٠
لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها	٥٢
لا تقوم الساعة حتى يُخسف بقبائلَ، فيقال: من بقي من بني فلان؟	١١٣
لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله	٤٦
لا تقوم الساعة حتى يكثر الهَرْج. قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟	٣٨
لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع بنُ لكع	٤١
لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه	٦٧

QaradawiBooks.com

الحـــديـــث	رقم الصفحة
لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق ـ أو بدابق ـ	٧١، ١٦٦
لا مهدي إلا عيسى ابن مريم	٧٧، ٨٤، ٨٥، ٨٩
لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره	١٣٥
لا يعلمها إلا الله، لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بمشاريطها	٦٩
لأصفِنَّ الدجَّال صفة لم يصفها من كان قبلي، إنه أعور، والله ﷻ ليس بأعور	١٤٨
لأَنَا لفتنة بعضكم أخوفُ عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحدٌ مما قبلها	١٤١
لتتبعُنَّ سَنَن الذين من قبلكم، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع	٤٥
لتفتحنَّ القسطنطينية، ولَنِعْم الأمير أميرها، ولنِعْم الجيش ذلك الجيش	٦٢
لن تهلِك أمة أنا في أولها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهدي في وسطها	٩١
لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث رجلًا مني	٨٤، ٨٩
لَيُهِلَّن عيسى بفَجِّ الرَّوْحاء بالحج أو العمرة، أو ليثنِّينهما جميعًا	١٦٤
م	
ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه	٣١
ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود	١٧
ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنةً	١٤٠
ما بعث الله من نبي إلا قد أنذره أمته، لقد أنذره نوح أمته	١٤١
ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال.	١٤٠
ما تحدّثون؟	٦٤
ما تذاكرون؟. قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها	٥، ١١٢، ١١٤، ١٩٨، ٢٠١

QaradawiBooks.com

الحـديـث	رقم الصفحة
ما شأنكم؟. قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة، فخفَّضت فيه ورفَّعت	١٦٦
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	٣١، ١١١
ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور	١٤٢
ما يبكيكِ؟. قلتُ: يا رسول الله، ذكرتُ الدجَّال فبكيتُ.	١٤٦
ما يضرك منه؟. قلتُ: لأنهم يقولون: إن معه جبلَ خبزٍ، ونهرَ ماءٍ.	١٣٢
مدينة هرقل تُفْتَح أولًا	٦٢
مَن أحب أن يسأل عن شيء فليسأل	١٨٤
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من [فتنة] الدجال	١٣٧
مَن سمع بالدجال فليناً عنه، فوالله، إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن	١٣٧
من كذَّب بالمهدي فقد كفر	٨٤
من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟. فقال رجل: أنا.	١٣٦
منعت العراق درهَمَها وقَفِيزها (مكيال لأهل العراق)، ومنعت الشام مُدْيَها	٥٢
منهن ثلاثٌ لا يكدْن يذَرْن شيئًا، ومنهن فتنٌ كرياحِ الصيف، منها صغار	٥٢
المهديُّ من عِترتي من ولد فاطمة	٨٥
مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم	٦٦
نـ	
نار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس	٢٠٣
هـ	
هل ترون ما أرى؟. قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع خِلَال بيوتِكم	٣٨، ١٨٥
هي هَرَب وحَرَب، ثم فتنة السرَّاء، دخنُها من تحت قدمَيْ رجل	٥٨

QaradawiBooks.com

الحـــديـــث	رقم الصفحة
و	
وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم	٢٠٣
والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا	٣٧
والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا	١٦٣
والله، لينزلنَّ ابنُ مريم حَكمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير	١٧٣
وأن ترى الحفاة العراة رِعاء الشاء يتطاولون في البنيان	٣٣
وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته في الطريق لفعلتموه!	٤٥
وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية	٧٠
ويحَك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟. قال: نعم.	١٣٩
ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج	١٩٠
ي	
يا أبا ذر، أتدري أين تذهب هذه الشمس؟. قلت: الله ورسوله أعلم.	١٩٤
يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناسَ جوع شديد	٥٦
يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناسُ بعضُهم بعضًا	٥٦
يجيء الدجال فيَطَأ الأرض، إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة	١٣٨
يخرج أعورُ الدجالُ، مسيحُ الضلالة، قِبَل المشرق	١٤٢
يخرج الدجال في أمتي، فيمكث أربعين، لا أدري يومًا، أو أربعين شهرًا	١٦٨
يخرج رجل من أهل بيتي، يعمل بسنَّتي، وينزل الله له البركة من السماء	٩١
يقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى أحد منهم	١٠٤

QaradawiBooks.com

الحـــديـث	رقم الصفحة
يقتل ابنُ مريم المسيحَ الدجالَ بباب لُدٍّ. أو: إلى جانب لُدٍّ	١٦٩
يقول الله: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك	١٧٨
يقول الله ﷻ يوم القيامة: يا آدمُ، قُمْ فابعَثْ بَعْثَ النار.	١٨١
يكون في آخر أمتي خليفة، يحثو المال حَثْوًا، لا يعدُّه عدًّا	٥٣
ينزل عيسى ابن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتُجمع له الصلاة	١٦٤
يواطئ اسمه اسمي، واسم ابيه اسم أبي	٨٦
يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس	٥٠
يوشك الفرات أن يُحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره، فلا يأخذ منه شيئًا	٥٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

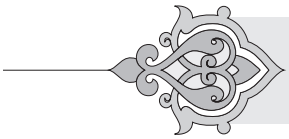

فهرس الموضوعات

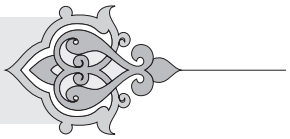

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** ٤

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** ٥

• **مقدمة** ٧

• **١ ـ محاولة تحديد عمر الدنيا ويوم القيامة** ١١

الإمام الموسوعي أبو جعفر الطبري وتأثير الروايات الإسرائيلية عليه ١٢

أيام الخلق الستة في منظور العلوم المكتسبة ١٤

تحقيق السيد رشيد رضا ونُقُوله في عمر الدنيا ١٦

تأثر السيوطي بقول من قال: إن عمر الأرض سبعة آلاف سنة ٢٠

رأيُنا فيما نقله مسلمو أهل الكتاب من تحديد عمر الأرض ٢٠

• **٢ ـ أشراط الساعة صغرى وكبرى** ٢٥

للساعة علامات صغرى وكبرى ٢٦

أول أشراط الساعة الصغرى بعثة محمد ٢٦

أشراط الساعة ثلاث مراحل أم مرحلتان؟ ٢٧

QaradawiBooks.com

القرآن يخبر عن أشراط الساعة ٢٩
انشقاق القمر ٢٩
الرسول في أحاديثه بيَّن قرب الساعة ٣٠
ولادة الأمة ربَّتها وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان ٣١
معنى قول النبي ﷺ: «أن تلد الأمة ربَّتَها» ٣٢
معنى: «وأن ترى الحفاة العراة رِعاء الشاء، يتطاولون في البنيان» ٣٣
ضياع حقوق الناس وخصوصًا الضعفاء، وظهور الجبابرة، والكاسيات العاريات ٣٤
توسيد الأمر إلى غير أهله ٣٥
أحداث وقعت في عهد الصحابة ٣٧
الفتن تقع خلال بيوت الصحابة كوقع القطر ٣٨
حديث: «لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه» ٣٩
أحداث بعد الصحابة ٤٠
فُشُوُّ الجهل بالدين وقلة العلماء الراسخين ٤١
قلة عدد الرجال أمام عدد النساء ٤٢
التباهي في بناء المساجد وزخرفتها ٤٣
انتشار الإلحاد في الأرض ٤٤
عدم حج البيت ٤٤

QaradawiBooks.com

اتِّباع الأمة سَنَن الأمم التي ضلَّت قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع ٤٥
فَيْض المال واتِّساع الثروات ٤٦
قتال اليهود والمسلمين ٤٦
اقتتال فئتين عظيمتين من الناس دعواهما واحدة (أشبه بالحرب العالمية) ٤٧
الكذابون الدجَّالون أدعياء النبوة ٤٨
تقارب الزمان ٤٨
فترات الضعف التي تنزل بالأمة ٤٩
فترات الامتحان ٥٠
اقتراب الساعة أكثر فأكثر ٥١
ظهور الشُّرَط ٥٣
تداعي الأمم على أمة الإسلام كما تتداعى الأَكَلَة إلى قصعتها ٥٤
التحذير من الفتنة والبعد عن شرها ٥٤
ما أعطى الله تعالى لهذه الأمة ٥٧
فتنة الأحلاس: فسطاط الإيمان، وفسطاط النفاق ٥٨
توالي الفتن يُرَقِّق بعضها بعضًا ٦٠
فتح القسطنطينية قبل فتح رومية ٦٢
نار تخرج من أرض الحجاز ٦٣

QaradawiBooks.com

انتشار الأمراض وكثرة الموت ٦٥

غدر بني الأصفر ٦٦

انقلاب الموازين وتصدر الرويبضات ٦٦

اشتداد الأحوال على الناس حتى يتمنَّى الرجل الموت ٦٧

شدة الاقتراب من الساعة ٦٨

إخباره بالفتن والأحداث بين يدي الساعة ٦٨

قتال الروم ٦٩

كثرة الروم ٧٢

• ٣ ـ المهدي المنتظر ٧٥

الشيخ ابن محمود يرفض أحاديث المهدي المنتظر في احتفال العلماء بمقدم القرن الخامس عشر الهجري ٧٥

كلام الشيخ ابن محمود عن أحاديث المهدي في السنة ٧٦

ابن محمود ينقل عن شيخه المانع تشكيكه في أحاديث المهدي ٧٨

رأي صاحب المنار ٧٨

النظر فيما ورد في المهدي وآثاره في الأمة ٧٨

ما انتهى إليه ابن محمود ٨٠

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الألباني يلتقي ابن محمود ويتناقشان ٨٠
رأيي في قضية المهدي ٨١
حقائق لا بد منها لبحث قضية المهدي في ضوئها ٨١
موقف العلماء من قضية المهدي ٨٣
ابن تيمية وابن القيم يصحِّحان أحاديث المهدي ٨٤
رأي ابن تيمية ٨٤
موقف الناس من هذه الأحاديث ٨٥
مهدي الإمامية الاثني عشرية ٨٦
مهدي القرامطة الباطنية ٨٧
مهدي المغاربة ابن تومرت ٨٧
مدَّعون للمهدية في زمن ابن تيمية ٨٨
رأي ابن القيم ٨٩
ابن خلدون يكاد ينكر قضيةَ المهدي ٩٤
الشيخ شاكر يهاجم ابن خلدون بعنف ٩٦
رأي العلامة رشيد رضا في أحاديث المهدي ٩٨
الاختلاف والاضطراب في أحاديث المهدي ١٠٠
ترجيحي في قضية المهدي المنتظر ١٠٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• ٤ ـ أشراط الساعة العظمى ١١١

❖ الخسوفات الثلاثة ١١٢

هل وقعت تلك الخسوفات؟ ١١٢

أين تقع الخسوفات؟ ١١٣

❖ الدخان الذي يكون في آخر الزمان ١١٤

تفسير الأستاذ سيد قطب لآيات سورة الدخان ١١٧

❖ خروج الدابة ١٢٥

كلام العلامة أحمد شاكر حول خروج الدابة ١٢٨

❖ فتنة المسيح الدجال ١٣٠

الدجال الأكبر والدجاجلة الصغار ١٣٠

اهتمام السلف الأولين بتعليم الناس أخبار أشراط الساعة، ومنها الدجال ١٣٣

تحذير الشيخ الألباني من فتنة الدجال ١٣٥

الوسائل والأسباب التي تعصم من فتنة الدجال ١٣٦

لا ندعو الناس لترك بلادهم والهجرة إلى مكة والمدينة ١٣٧

طرف من أحاديث الدجال ١٤٠

ما الحكمة من عدم ذكر الدجَّال في القرآن صراحة؟ ١٤٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

حديث تميم الداري عن الدجَّال والجسّاسة ١٤٩

❖ نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ١٦٢

❖ حكم إنكار ظهور المسيح الدجال أو تأويله تأويلًا منكرًا أو إنكار نزول عيسى ابن مريم ١٧٢

❖ ظهور يأجوج ومأجوج ١٧٦

ماذا يجد القارئ عند المحدِّثين عن يأجوج ومأجوج؟ ١٧٨

ما ذكرتْه الأحاديث عن عدد الأمة المحمدية بالنسبة ليأجوج ومأجوج ١٨٠

خلاصة القول في أحاديث الفتن وأشراط الساعة عند رشيد رضا ١٨٣

رأيُ أبي الكلام آزاد الهندي عن ذي القرنين ويأجوج ومأجوج ١٨٨

رأي صاحب الظلال في يأجوج ومأجوج ١٨٩

رأينا فيما قاله الشهيد سيد قطب ١٩١

رأي الشيخ محمد الغزالي في يأجوج ومأجوج ١٩٢

رأينا فيما ذهب إليه شيخنا محمد الغزالي ١٩٣

❖ طلوع الشمس من مغربها ١٩٤

ترتيب علامات الساعة الكبرى ١٩٨

الحكمة من طلوع الشمس من مغربها ١٩٨

اختلاف العلماء في تحديد أول أشراط الساعة الكبرى ١٩٩

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

كلام د. النجار عن طلوع الشمس من مغربها وارتباك دوران الأرض حول محورها قبل ذلك ٢٠١

❖ **النار التي تحشر الناس** **٢٠٣**

• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٢٠٧**

• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٢١٧**

• **فهرس الموضوعات** **٢٢٧**

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

٢٣ ـ فصول في العقيدة بين السلف والخلف ٥

٢٤ ـ أشراط الساعة الصغرى والكبرى ٤٠٥

* * *

غير مرخصة للبيع

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com